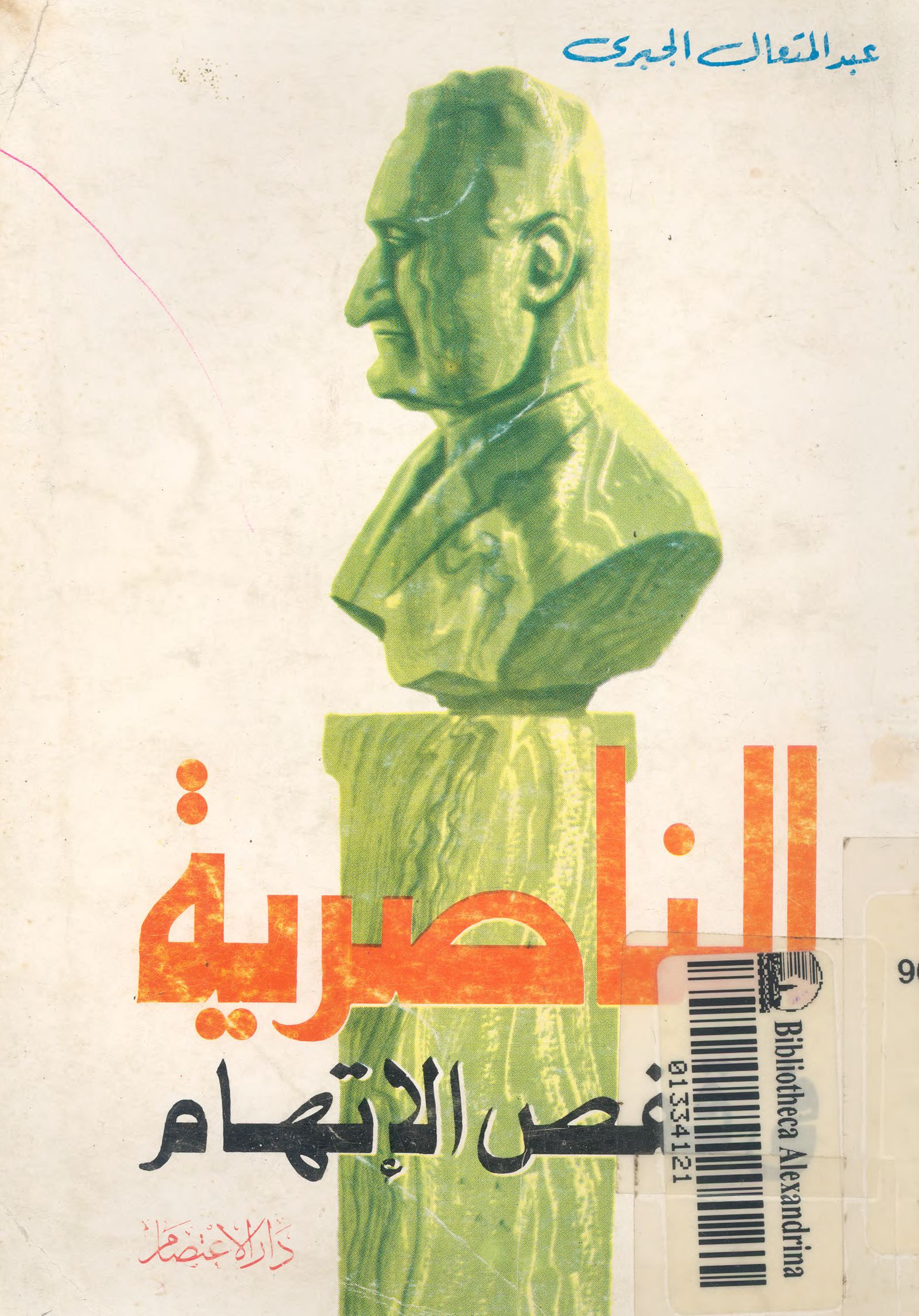
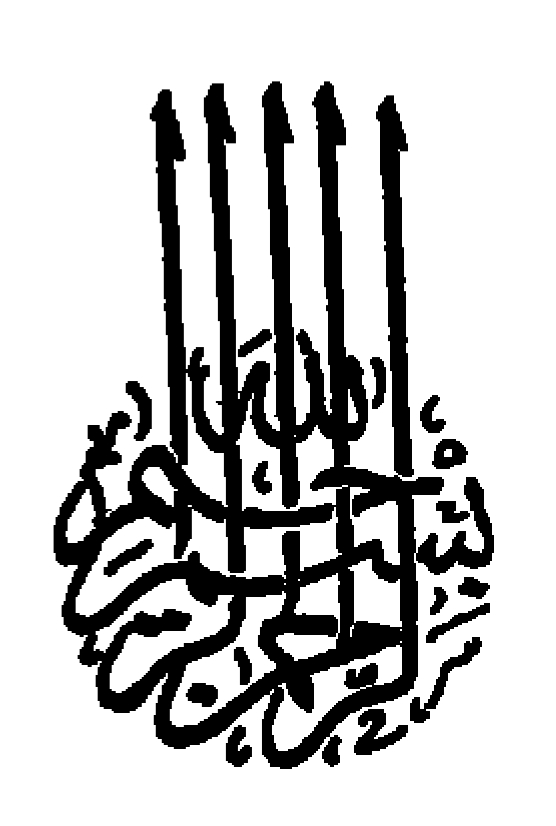
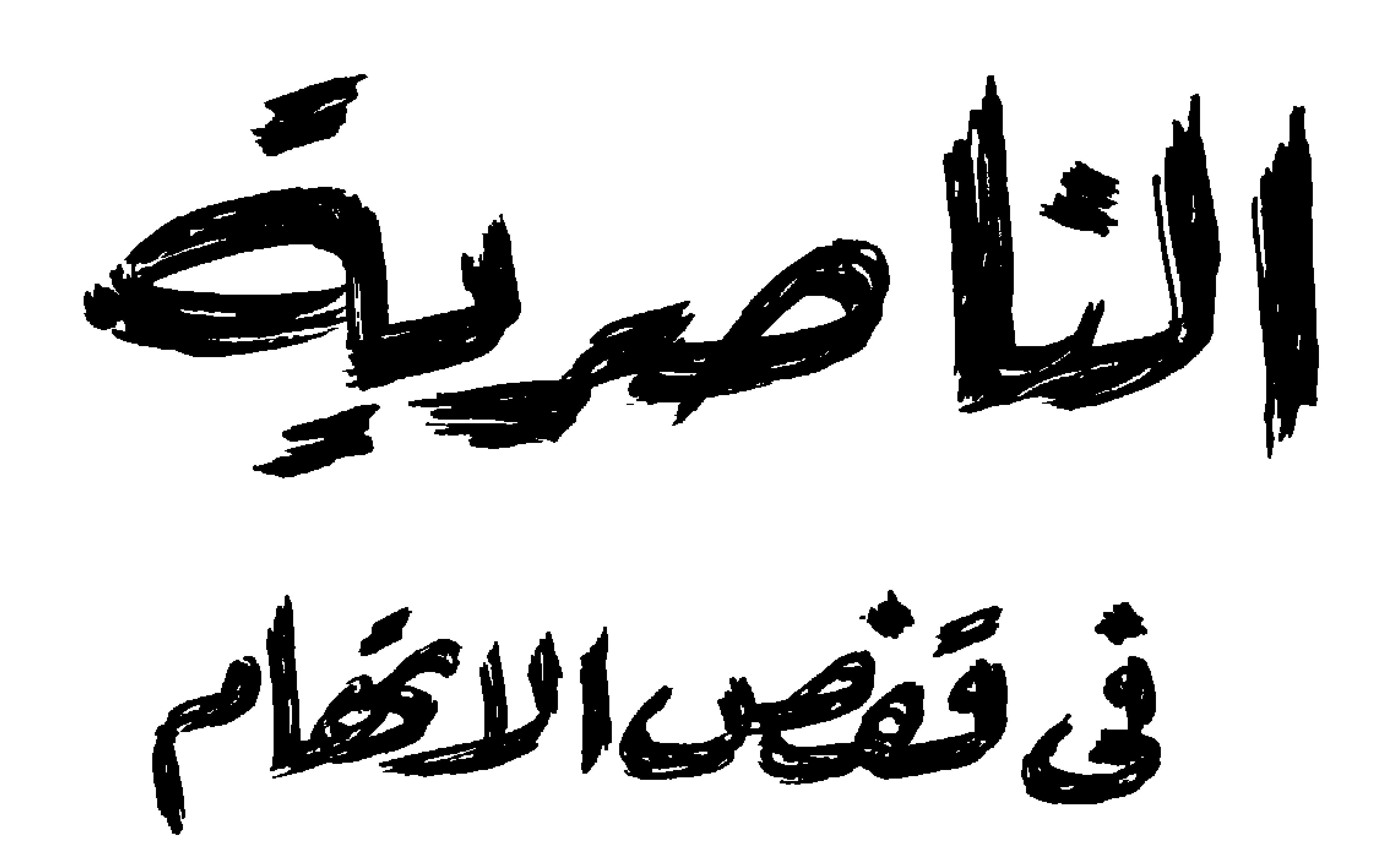

عبد المتعال الجبري
الناصرية
فص الإتهام
دار الاعتصام



عبدالمتعال الجبري



الطبعـــة الأولى

١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م

دار الاعتصام

مقدمة

يحلو لكثيرين أن يقولوا ما لنا نرى الكتاب اليوم يتناولون بالحديث الرئيس السابق جمال عبد الناصر واتجاهه فى السياسة التى تسمى « الناصرية » ، وكانوا خفافيش فى عهده ؟

وهذا السؤال حق ؟ لأنه يحمل فى تضاعيفه الجواب ، وهو أن الرجل كان صاحب الكلمة الأولى والآخرة . لا معقب لحكمه من شعبه وهو سريع العقاب . فلا حرية لسواه .

وهو سؤال يقتضى الجواب بمنطق العلم السهل أيضا فقد يطرحه أبله ، أو يطرح على بعض السذج البله ، والجواب بسيط . وهو أن الشعوب تستفيد من سرد التاريخ « لقد كان فى قصصهم عبرة » . « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » .

إن وجهات النظر التى سلكها زعيم ما ، إذا أنتجت ثمرات من الحنظل أو « الأترج » فهى مذهب . ونتائج واضحة ، يجب أن تعرض ويعرض ما يقابلها من وجهات نظر أخرى كانت محجوبة فلا تظل الأمة كالفأر الذى فى مختبر علماء النفس . لا يغير أسلوبه وتجربته فى التخلص من الورطة التى وقع فيها . فهو يحاول الخروج . . ولكنه دائماً يجرى فى الطريق المسدود .

إذن المصلحة العليا للأمة فى أن تدرس تاريخها بمكاسبه وكوارثه . .

وحقبة الحكم الناصرى جزء من تاريخ الأمة فوجبت دراسته ، ووثائق التاريخ منوعة منها ما يكون وثائق رسمية . . وهذه تتولاها الدولة الآن مشكورة ، ومنها وثائق أدبية تجمع من آراء الكتاب والشعراء والصحفيين وأصحاب الفكاهة . . ومن هذا اللون من الكتابة التاريخية والاجتماعية — هذه الوثائق مما نشرته صحافتنا المصرية ممزقا وكان يحتاج الجمع والتبويب ليكون بين يدى التاريخ بعد أن أصبح قصاصات يباع فيها « اللب والفسيخ » .

ولما كانت الفكاهة المصرية وسيلة للتعبير الشعبي عما يكابده وما يتصوره ، وهي فى كل الشعوب وثائق تاريخية ومصادر للتحليل النفسى الذى يجرى لاكتشاف طبيعة أمة وطبيعة نظام اجتماعى وسياسى لشعب . فقد أحببت أن أضع أمام القارئ ودارسى التاريخ قطرة من بحر ، وقليلا من كثير من هذا اللون التعبيرى عن « الناصرية » كذلك . .

وأنا أبعد الناس من أن يقول لى قائل : لماذا تتحدث اليوم ولم تتحدث فى عهده ، وذلك أننى لم أكن يوما من « الصامتين » ، بل قلت وفعلت الخير ،وتلقيت بصدر رحب سياط البغى ، ولم أرهب « مراكز القوى » ففقدت الأسنان والسمع وانهدت القوى وكان ربى بالمرصاد . . . . ولكيلا أكون متهما فى حديثى عن عهد معتد على كرامتى جعلت التاريخ من باب الفكاهة ونافذة الصحافة هو الذى يتحدث ، فماذا قال التاريخ ؟

عبد المتعال الجبرى

الفصل الأول

* ما هى الناصرية .
* المأزق التاريخى للناصريين .
* كتاب الناصرية .
* الناصريون خارج مصر منتفعون .
* المفتونون بالناصرية عملاء .
* نغمة التحديات فى الخارج .

ما هى الناصرية ؟

قال الرئيس السادات فى خطابه للشعب يوم ٣-٢-١٩٧٧ بعد حريق القاهرة والعواصم : « الشيوعيون والورثة الذين يقولون اليوم إنهم ورثة عبد الناصر ، لأنه أصبح لا فرق بين الاثنين على فكرة — دول‌هم دول — واحد الاثنين بالضبط وما فيش أى خلاف .

طلع إيه الناصرى ؟ عايزين الحراسة ، وعايزين المصادرة ، وعايزين المعتقلات . وعايزين الوحدة العربية بالطريقة . . بطريقة عبد الناصر ؛ « والحراسات والمصادرات لم تكن مجرد سلبيات ، بل ارتكبت فيها جرائم ضد الشعب »[١] .

ثم قال : عبد الناصر عرف أن ما جرى يوم ٥ يونيه هزيمة شخصية له . لماذا ؟ لأنه قبل هذا التاريخ بأيام قليلة جداً ، كان عقد المؤتمر الصحفى الذى عمله فى قاعة الزهراء بمصر الجديدة ، وتحدى فيه العالم كله .

وفجأة بعد أيام قليلة ، تقوم إسرائيل ، وفى ساعة زمنية واحدة ، من الساعة الثامنة والنصف إلى التاسعة والنصف صباحا تنتهى المعركة ، وينتهى سلاح الطيران المصرى ، ويقع ما وقع من هزيمة مريرة أليمة الأبعاد . دى قتلت عبد الناصر يوم ٥ يونية ١٩٦٧ » .

---

(١) حديث السادات مع طلبة الجامعة فى ١-٢-١٩٧٧

« هنا استشرت بقية العناصر لأن عبد الناصر تعب ، وابتدأ عبد الناصر يحمل أعوانه كثيرا من أحماله . كان سامى شرف وشعراوى جمعه جنيه ، أوهموا عبدالناصر لآخر لحظة فى حياته أنهم معه ضد على صبرى ، واتضح أن الثلاثى كان بيشتغل مع بعضه (على صبرى — شعراوى — سامى) تحطم عبد الناصر بعد هزيمة يونيو وحكمت مراكز القوى لحساب موسكو » .

هذه هى الناصرية كما صورها أعز أصدقاء عبد الناصر .

شرح الناصريين للناصرية :

ووقف فى اجتماع اتحاد الطلاب أحد الناصريين يقول : الناصرية تقوم على ثلاث مبادئ الحرية — الاشتراكية — الوحدة . لحل المشكلات الثلاث : الاستعمار — التخلف والطبقية — التجزئة بين أقطار الوطن العربى . فماذا قال عبد الناصر نفسه عن هؤلاء الشيوعيين — وهم والناصريون واحد كما قال السادات . .

قال عبد الناصر : إن الشيوعيين الذين ينادون اليوم بالكفاح المسلح هم الذين انتهزوا فرصة ذهاب المواطنين الأحرار إلى القنال . وحرقوا القاهرة سنة ١٩٥١ لبث الفوضى ، وهم مستعدون لذلك دائماً من أجل سادتهم الذين يمدونهم بالمـــال[١] .

وكان محمد حسانين هيكل أول من أطلق لفظ « ناصرية » فى مقال له بالأهرام فى ١٤—١—١٩٧٢ بعدوفاة جمال عبد الناصر نفسه لم يقل

---

(١) روز اليوسف فى ١٧—١—١٩٧٧

فى حياته إنه صاحب نظريات سياسية أو اجتماعية بل ، إنه — على العكس من ذلك — فقد قرر فى كتاب فلسفة الثورة وبياناته فى الثورة أن الثورة قامت وليس عندها تصور متكامل لما يجب أن تفعله غير هذه المبادىء الستة التى مات قبل أن يحققها .

وماذا كان تعريف « هيكل » للناصرية ؟

قال هيكل : الناصرية هى مزيج من الحكم والفكر والعقيدة ، ولم تستكمل ملامحها إلا بالميثاق .

ثم جاء من بعده كمال رفعت وأصدر فى عام ١٩٧٦ كتيبا بعنوان « ناصريون » وأضاف إلى مصادر المبادىء الناصرية بيان ٣٠ مارس والقوانين والتشريعات والقرارات الاشتراكية .

وقال الدكتور عبد القادر حاتم فى رثاء ناصر : أصبح فى العالم الآن مذهب سياسى متميز ينتسب إلى عبد الناصر . . إنه مذهب الكرامة الإنسانية والدفاع عن الحق والحرية (١) .

ويتناسى شعار الإخوان « دعوة الحق والحرية والقوة » التى تحمى كرامة الإنسان والوطن ، وشعار الثورة الفرنسية وتمثال الحرية فى أمريكا ... وسيستبين مدى ما حققه ناصر أو قتله من هذه المبادىء .

يعرف المرء بصديقه :

كان بيرون أحد ضباط جيش الأرجنتين محباً لدكتاتور إيطاليا موسولينى ، وقد أحدث انقلاباً عام ١٩٣٤ ، واستطاع إشعال أحقاد قطاعات كبيرة من العمال التى استخدمها فى ضرب الأسر الغنية التى

---

(١) الأخبار فى ٢-١٠-١٩٧٠

تعارضه ، وهكذا استطاع أن يصادر أملاكها .

وفى بداية ثورة ٢٣ يوليو كان بيرون وعبد الناصر يتبادلان المراسلات . ولما خربت الأرجنتين نتيجة فساد نظام الحكم الاستبدادى ثارت عليه القوات المسلحة بعد ٩ سنوات من حكمه ، فهرب إلى إسبانيا عام ١٩٥٥ ، وبعد صراع بين أنصاره وخصومه عاد إلى بلاده رئيسا عام ١٩٧٣ وقد بلغ السابعة والسبعين ، واختيرت زوجته الثالثة إيزابيلا نائبة له ، وعاد الفساد والرشوة والسرقات مع خلق صراع بين ماسمى أقصى اليمين وأقصى اليسار فى طبقات الشعب إلهاء له عن الظلمات التى تلف الأرجنتين فى منحدرها إلى الهاوية .

والصديق الثانى سالازار الذى حكم البرتغال — الذين يلقبون بالزنوج البيض — ٥٠ سنة كثر فيها عدد المتسولين وماسحى الأحذية ، وجامعى أعقاب لفافات التبغ (السجائر) ، وحضارة التنقل عندهم واقفة عند مثيل (ترام السيدة زينب زمان) .

يقول سعد كامل : من فعل هذا بالبرتغال ؟ حكم أو جحيم سالازار طبعا . . الذى « حاول تطبيقه بعض صغار الطغاة من صف أول ثورة يوليو . بل أعدوا له الأسوار وشحذوا له السواطير »[1] .

مع أخلص الأصدقاء

وفى ٥-٨-١٩٧٧ نشرت الأهرام مقالا لحسن التهامى قال فيه : إن عبد الناصر هو الذى أمر القوات المصرية بالانسحاب إلى الضفة

---

(١) أخبار اليوم فى ١٦-٤-٧٧ لكمال عبد الرءوف الجمهورية فى ٢١-٤-٧٧ للوردانى .

الغربية من قناة السويس سنة ١٩٦٧ ، وأن عبد الناصر هو الذى دس السم لعبد الحكيم عامر ، وفى بيت عبد الناصر نفسه .

المأزق التاريخى للناصريين

ذلك المـأزق يتبلور جوهره فى التناقض التام بين نظريات أملاها المـاضى يريدون تطبيقها على الحاضر رغم المتغيرات الدولية والمحلية فلا يكون هناك انسجام بين النظرية التى يفترضون تقديسها لأنها من إلهـام القائد الملهم . وبين الواقع بخصائصه الجديدة ، كما لا يمكن أن تلتقى الحياة بالموت فى كائن واحد .

إنهم سيغتربون عن واقع عالمهم المتجدد ، فلقد صيغ الفكر الناصرى فى خمسينيات وستينيات هذا القرن ، وهى حقبة تاريخية تمايز جذريا عن سابقاتها ولاحقاتها ، بأمور لعل أهمها :

١ ـ الصراع المتقد بين القوى الاستعمارية وقوى التحرر الوطنى .

٢ ـ رفض النماذج الاجتماعية المتوارثة عبر الأربعينيات بما كرسته من مفارقات طبقية ، وتبنى مفهوم الاشتراكية .

٣ ـ سيادة ظاهرة (القائد التاريخى) الذى تتجسد فيه مرحليا آمال مواطنيه الذين يتنازلون له طواعية عن وعيهم الديناميكى (المتولد ذاتيا بالفطرة) ليتكفل وحده بمسئولية التفكير من أجل المستقبل ، وهو التنازل الذى يجب أن يكون موقوتا بأدنى فترة ممكنة ، ولكن تلك الفترة ـ لسوء الحظ ـ امتدت لأكثر مما ينبغى خلال التجربة المصرية .

ومن رحم تلك المعطيات تتولد فرضيات المنهج التحليلي الناصرى : فطبيعة مرارة الصراع الثائر تفرز بدورها مبدأ حتمية الحل الثورى الذى لا يقبل التدرج .

وبمقتضى الاختيار لمذهب يناقض ما قبله ينشأ مبدأ رفض تسييس المواقف،وتستوجب الحلول العسكرية الجافة . وبهذا يحجب السياسيون بأفكارهم المرنة . . ولو أدى هذا إلى اعتقالهم .

وظاهرة القائد التاريخى تقود إلى الفرضية القائلة بالتصويب المطلق لكل ما أسفرت عنه تجربة وفكر الزعيم ، فلا يشوبها أدنى قصور ، وتفسر الانتكاسات التى وقعت بأنها ليست أكثر من خلل تطبيقى تلك هى المبادئ التى تحكم – وبإحكام – أركان المأزق التاريخى للناصريين .

ففرضية الحتم الثورى لا تصمد كثيرا فى عصر الوفاق الدولى حيث خفت حدة ميلودرامية الصراع ، وبالتالى فلم يعد من المستساغ معالجة ظاهرة الوحدة العربية وفقا للتقسيم الكلاسيكى – الذى يصر عليه الناصريون – إلى دول ثورية وأخرى رجعية . (بالرغم من أن السادات صرح بأن ناصراً اعتذر لفيصل فى مأدبة عشاء رسمية أمام آخرين) .

وفيما يختص بفرضية التصويب المطلق لفكر الزعيم وتجاربه . فهى من ناحية – ادعاء غير علمى، فكل النظريات ينبغى أن تطوق بدائرة الشك العلمى ، وهى من ناحية أخرى رؤية ديماجوجية (تقوم على الدعاية) تدفع بالنظرية إلى الصدأ ، إذ تحرمها من الاجتهادات المبدعة وتيارات الفكر المتجدد ، ولا يتبقى لمعتنقيها إلا عبارات خالية من المضمون .

تعقيب

ويعقب الأستاذ عبد القادر السعدنى[1] على قول الناصريين إن الانتكاسات التى وقعت ليست أكثر من خطأ أو خلل تطبيقى بقوله « إن البرامج والخطط وتطبيقاتها كوجهى العملة لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر . وإن التطبيق هو المحك الوحيد لإقناع الناس بصواب أو فساد تلك البرامج والخطط .

كتـــاب الناصرية :

يقول الدكتور فؤاد زكريا[2] : « فهناك بالفعل نقاد للعهد الناصرى كانوا ممن يحرقون له البخور طوال أعوامه الثمانية عشر ، وكانوا طول تاريخهم ممن يجيدون تغيير جلدهم بتغير الحاكم ، ولم يكن التغيير الذى طرأ على موقفهم من حكم ناصر هو التحول الوحيد فى حياتهم ، بل إنهم سبق أن مارسوا مثل هذا التحول فى أوائل عهد عبد الناصر لصالح عبدالناصر ذاته ، وضد أسيادهم السابقين — هذه حقيقةلاشك فيها .

ملاحظة : ثم ضرب فؤاد زكريا لعبد الناصر ومحاكمته مثلا ستالين وخروشوف بينما « كوبلاند » يمثله بنابليون بونابرت[3].

أهمية الدراسة للناصرية :

وعندما يكون الأمر متعلقا بمصير أمة مرت بتجربة معينة فى الحكم

---

(١) السياسى فى ٢-١١-١٩٧٥

(٢) روز اليوسف ع ٢٤٤٤ س ٥٠ فى ١٤-٤-١٩٧٥

(٣) روز اليوسف : العدد ٢٤٥٧ فى ١٤ يوليو سنة ١٩٧٥ .

دامت قرابة عشرين عاما فلا ينبغى أن نمتنع عن التقييم الموضوعى الصارم مراعاة للعواطف والشهامة ، والنخوة ، ولا يجب السكوت عن الخطأ لمجرد أن مرتكبه قد مات ، وخاصة إذا كان هذا الخطأ متعلقاً بحياة الشعب بأسره .

وإنى لأتساءل : كيف نستطيع أن نرسم خطوط مسيرتنا فى المستقبل إذا لم نستوعب دروس الماضى كاملة . إذا لم نحكم عليها بموضوعية ونزاهة ، دون عاطفة كاذبة ، أو ولاء ساذج[1].

الصوفية الناصرية :

وقال الدكتور كمال أبو المجد فى لقاء ناصر الفكرى الرابع : « أما ما لا نريده فهو الانغلاق على النفس وترديد النصوص والشعارات كنوع من الصوفية الناصرية »[2].

• • •

(١) ومثل هذا ما قاله كثيرون منهم الدكتور لويس عوض فى الأهرام ٢٥ يوليو سنة ١٩٧٥ .

(٢) الأهرام فى ٢٨-٩-١٩٧٤

الناصريون خارج مصر منتفعون ؟

القذافى والعون الليبي لمصر :

قال الرئيس السادات : نسمى الناصريين فى روسيا وليبيا والذين فى قلوبهم مرض من مصر « جمعية المنتفعين » .

وتحت عنوان « من الأرشيف السرى لمعلومات روز اليوسف » قالت المجلة :

فلوس العقيـــد :

كانت موسكو قد اشترطت فى إحدى صفقات السلاح أن يدفع عبد الناصر نقداً ، فدفع الملك السنوسى نصف المبلغ فورا ، وتعهد بدفع النصف الثانى (عشرة ملايين جنيه) بعد ثلاثة أشهر عندما يستلم قسط البترول ، ولـكن ثورة الفاتح نشبت قبل أن تنقضى الثلاثة الأشهر .

وفى أول لقاء تم بين عبد الناصر والعقيد طلب عبد الناصر تسديد المبلغ الذى تعهد به الملك ، فكان جواب العقيد : إن الملك كان يدفع صدقات . أما نحن فلا .

ومع هذا دفع عبد الناصر بالعملة الصعبة مرتبات جنود مصر المرابطين فى ليبيا لحماية نظام العقيد ، وظلت مصر تتحمل هذا العبء عن ليبيا إلى ما بعد وفاة عبد الناصر بعام كامل .

- أعلن القذافى أنه يشترى طائرات ميج لأجل مصر ولم يسلمها إلا عام ١٩٧٣ بحجة تدريب طياريه عليها أولا ، ثم سلمها بدون قطع غيار ، ثم حين استردت الطائرات استردها بقطع الغيار .
- كانت دبابات ليبيا فى مرسى مطروح مقابل احتلال الطيارين المصريين قاعدة الطيران فى ليبيا ، وعندما حدثت الثغرة طلب السادات هذه الدبابات لمحاصرة العدو غرب القناة فلم يستجب القذافى.
- طلبت مصر صواريخ الكروتال فأرسل القذافى عربتين فقط بعد انتهاء المعركة كانتا غير صالحتين للاستعمال ، فأعيدتا إلى فرنسا لإصلاحهما .
- كان لليبيا ودائع قدرها (١٢٠) مليون دولار فقط طلب القذافى سحبها من مصر لولا أن أحرجه الشيخ زايد الذى كان حاضراً الطلب.
- قبل المعركة بشهور رفض القذافى إيداع عشرين مليون جنيه لحساب المخزون الاستراتيجى من زيت الطعام ، مما اضطر السادات لطلب ذلك من الملك فيصل ، فأرسل ٢٥ مليون جنيهاً .

وبعد كتابة هذا صرح القذافى لمصدر موثوق به أنه استبان له فساد الناصريين ونفعيتهم .

روســــيا :

قال السادات فى أول اجتماع للجنة المركزية (يوليه ٧٧) إن عبدالناصر مات كمداً من روسيا ، ثم هى اليوم تتباكى عليه .

حزب البعث والناصرية :

قال الرئيس السادات فى ذكرى عبد الناصر (٢٨-٩-١٩٧٦) أظن التاريخ والصحف والتسجيلات موجودة لكل ما قاله البعث السورى

فى عبد الناصر ، ولا أعتقد أن عبد الناصر تناوله أحد بالتجريح المرير أشد من حزب البعث السورى ، للأسف واليوم يتباكون على الناصرية .

المفتونون بالناصرية عملاء للأجانب :

تحدث الدكتور جمال الدين موسى الأستاذ بكلية عين شمس عن ظاهرة الطلاب الناصريين ، وأنهم لم يتعرفوا هذا الاتجاه من البيئة المصرية ولكن من الدخلاء على مصر ، أولئك الذين يعيشون فكرهم السياسى من الدعاية لا من الممارسة والمكابدة والواقع العملى . فقال : «[1] من نادى بالناصرية » ؟

« إنه بين كل عشرة طلاب فى الجامعة يوجد طالب غير مصرى ، إن فى جامعات مصر أربعين ألفا من الطلبة الوافدين . ألا يمكن أن يكون من بين هؤلاء من يبثون السموم والأفكار المستوردة والمبادئ الهدامة بالطرق التحتية السرية ، وبالوسائل الأخرى المعروفة ؟

من كان أول من نادى بالناصرية الزائفة كشعار للمزايدات واللافتات البراقة الكاذبة ؟ هل تم ذلك فى مصر أم فى خارج مصر ! . . لعل هذه هى بداية التيار ، ولعل هذه هى الجهة التى تهب منها الريح ، والتى يجب أن نأخذها فى الاعتبار .

وإذا كان الطالب يقضى بعض يومه فى الجامعة فإنه يقضى خارجها أكثر وقته ، وإن ضعاف الشخصية بالطبيعة يمكن أن ينقادوا بسهولة لعوامل الانحراف وعوامل التأثير داخل المعهد العلمى أو خارجه .

---

(١) الأخبار ٢٢-٢-٧٧

نغمة التحديات فى الخـــارج :

عندما تركت الناصرية تحدى المشكلات الداخلية للمصرى يعانى منها ذاتيا ، واتجه ناصر إلى تحقيق بطولات خارج البلاد سواء فى بلاد عربية أو أفريقية . أو لا تينية ، كسب شهرة فى الخارج ولـكن ماذا كان الأمر عليه فى الداخل ، كتب جلال الدين الحامصى يقول[1]

« وإذا كان الأطباء المصريون يتفقون فى الرأى على سوء حال المستشفيات المصرية من حيث الخدمة — برغم امتلائها بأطباء ممتازين — إلا أنهم فى نفس الوقت يطرحون تساؤلا وهو : وهل المستشفيات وحدها هى التى انحدرت إلى هذا الوضع السيئ ؟ لقد رفضنا إجراء عملية جراحية حساسة فى مستشفى جامعة القاهرة بسبب سوء حالة الحجرات المخصصة لها ، وكان أن تحركت أجهزة الدولة ، وصرفت آلاف الجنيهات . ومع هذا هل تحقق بها الوضع الصحيح السليم الذى يطمئن المريض والطبيب المعالج معا ؟

إننا لم نصل إلى هذا الوضع « العام » — وفى كل شىء — إلا بسبب إهمالات متراكمة بدأت مع النغمة السياسية التى عشنا تحت وطأتها وهى « نغمةالتحديات »، فقد اتجهنا إلى مواجهة تحديات خارجية سعيالحماس الجماهير العربية والمصرية ، وأبينا مواجهة التحديات الداخلية ، اعتماداً على قدرة الحكم البوليسى على قفل أفواه الجماهير وتحطيم إرادتهم الإنسانية والبشرية .

ومن المؤلم أن يتحمل النظام الحالى هذه النتائج بالصمت المطبق ،

---

(١) الأخبار فى ٢٣-١٢-٧٦

ويحجم عن الإقدام على خطوة تحدد المسئولية ، وتعاقب المسئول .

إن هذا الصمت عن عدم تحديد المسئولية هو الذى سار بكل مرافقنا من سيئ إلى أسوأ ، ولو أن الناس صورحوا منذ وقت طويل بالحقائق لما وجدنا من بيننا من يترحم على هذا الماضى عندما كان الإهمال مازال فى بدايته ، ولم يكن هناك من يتجاسر على التحذير من نتائج هذا الإهمال . ثم شب الإهمال ونما وكبر ليصبح ضيفا على كل مرفق من المرافق العامة . بل حتى على الحاجات الغذائية فالشعب يحتاج البروتين الحيوانى وأصبح متوسط نصيب الفرد فى اليوم حوالى ١٠,٥ جم حسب إحصاء ١٩٧٢[١] وكان حوالى ١١,٦جم عام ٥١ – ١٩٥٢ »[٢] .

بل وانحدر مستوى دخل الفرد فى مصر إلى أقل بكثير من مستوى دخل الفرد فى أى دولة نامية فمثلا مستوى الدخل بالدولار الأمريكى فى الدول الآتية كالآتى (٣) :

الدولة	دخل الفرد
سنغافورة	٤٧٠
سوريا	٦٦٠
تونس	٧٦٠
تركيا	٨٦٠
زامبيا	٥٤٠
المغرب	٤٧٠
مصر	٢٠٠

(١) الأهرام فى ١١–١٠–١٩٧٤

(٢) العدالة عدد يسمبر ١٩٧٧ .

(٣) محمد عبد الرحيم عنبر : محاكمة جمال عبدالناصر ١ - ٢٣ .

بينما الفرص والإمكانيات التى كانت متاحة لعبد الناصر لم تحصل فى يد غيره من حكام العالم ، ولكنه أضاعها – مع ذكاء شخصى سخره فى المحافظة على كرسى الحكم محافظة على نفسه من المحاكمة إذا تخلى عن السلطة .. فقد كان جبانا فى مواجهة التاريخ والقضاء العادل .. فقد كان إحساسه حتى بأنه إذا لم يكن متعمداً أى خطأ وخيانة. فهو المسئول عن كل خطأ وخيانة فى دولاب الحكم الذى يرأسه .

فقد كانت حصيلة الأراضى الزراعية المصادرة من العائلة المالكة فقط سبعين مليون جنيه(١) بالرغم من أن ظروف التلاعب فى البيع كانت كما لا يخفى على أحد .

هذا عدا ما وضعت عليه الحراسة وهو ٢٠٠ر٠٠٠ فدان ، و ٩٤ قصرا و ٢٠ر٠٠٠ رأس من الماشية و ٣٦٣ من الخيول العربية الأصيلة و ١٦٤٣ آلة زراعية(٢) .

---

(١) البحث عن الذات للرئيس السادات ص ١٧١ .

(٢) محاكمة جمال عبد الناصر ١ – ٩٠

الفصل الثانى

* الاتجاه الاشتراكى .
* مظاهر خيبة الأمل فى الاشتراكية الناصرية .
* التمرد على الاشتراكية الناصرية .
* شعار التحول الاشتراكى والتصنيع .
* التطبيق الناصرى للاشتراكية .
* انعدام الرقابة .
* عصر السرقات الآمنة .
* محاولة لنقاء ثورى .
* تناقض الشعارات الاشتراكية مع الواقع .



« ولقد عبدنا صنم الاشتراكية حتى
أصبح اقتصادنا على البـــلاط » .
الرئيس السادات[1]

ما هى الاشتراكية ؟

يقول الأستاذ أحمد أبو الفتح[2] : « إن كلمة الاشتراكية تحمل معانى كثيرة ونظما مختلفة اختلاف الليل والنهار .

الاشتراكية المطبقة فى الدول الشيوعية تلغى الملكية الفردية إلغاء كاملا ، وبالتالى تلغى الميراث ، لأنه لا يوجد ما يورث ، كما تلغى كل نشاط فردى .

والاشتراكية فى السويد وإنجلترا وغيرهما من الدول الغربية تكتفى بملكية الدولة لقدر ضئيل من الاقتصاد القومى لا يتجاوز عشرة فى المائة ، وتعتمد على النشاط الخاص الخاضع للضرائب ، وترد هذه الضرائب فى صورة خدمات للشعب .

ونحن فى مصر قد ورثنا نظاما مضطربا يعتمد أكبر ما يعتمد على الشهوات وتمكين أصحاب « الثقة » من السيطرة على الاقتصاد المصرى ، وبذلك اضطربت المعايير فى مصر ، فبدلا من أن تتحول جهود القائمين إلى تنمية الاقتصاد المصرى لينتفع به سواد الشعب ، تحول إلى تحقيق مغانم شخصية ، والإثراء سريعا على حساب المصلحة الحقيقية للشعب ،

---

(١) جميع صحف ٣١-١-١٩٧٧ فى خطابه لمديرى وعمداء الجامعات .

(٢) أخبار اليوم ٢٢-٣-١٩٧٥

وأصبح القطاع العام ، بل مال الدولة إقطاعاً عاما للمحاسيب من أهل الثقة ، فمثلا مؤسسة روز اليوسف تخسر سنويا ٦ ملايين جنيه ويعزى هذا إلى عدم سلامة بعض عمليات الاستيراد الخاصة بالمؤسسة(١).

والفشل الداخلي يدفع دائما الحكم إلى تحويل أنظار الشعب عما هو واقع داخل الوطن ، وذلك بافتعال معارك خارجية . كتلك التي خاضها الحكم في مصر لإجبار الدول العربية الأخرى على الأخذ بما أسماه « اشتراكية » ، وكان تقسيم الدول إلى تقدمية ورجعية هو أحد الشعارات التي رفع رايتها الحكم المصري في سلسلة محاولاته لإجبار الدول العربية على السير في ركابه ، والأخذ باشتراكيته .

وقد أدى ذلك إلى فزع شديد من كلمة « الاشتراكية » في هذه الدول العربية وألصقتها بالكفر . وجاء السادات ليؤكد أن مصر لن تتدخل في نظم الحكم فيها .

مظاهر خيبة الأمل في الاشتراكية :

تحدث الدكتور فؤاد زكريا ــ وبينه وبين كبار الفكر الاشتراكي من الصداقة ما يعصمه من التجني على الاشتراكية ــ يقول(٢) :

« إن استقبال الجمهور لنيكسون ليس هو المظهر الوحيد لخيبة أمل الناس في التجربة الاشتراكية ، فهناك مظاهر أخرى مثل رد فعل رجل الشارع العادي ــ وليس فقط أصحاب المصالح ــ على خروج

---

(١) العدالة : العدد الثالث والرابع .

(٢) روز اليوسف في ٢١-٧-١٩٧٥

الخبراء السوفييت ، وربما كان المظهر الأكثر دلالة ، والذى تعبر عنه أرقام وإحصاءات ، هو أن جريدة اليمين أصبحت أوسع الجرائد انتشاراً ، والتغير الوحيد الذى طرأ على هذه الجريدة هو أنها أصبحت تعزف باستمرار على نغمة الظلم والاضطهاد ، وسلب أموال الشعب ، واختفاء سيادة القانون فى أيام التجربة الناصرية .

« أما انا فلست أعتقد أن تدهور مستوى الخدمات والمرافق وانتشار الأمية وهبوط مستوى التعليم ، وشيوع السرقات والاختلاسات ، والاستخفاف بالقانون ، وإشاعة الرعب والجبن والنفاق ، لست أعتقد أن هذه أمور هينة . أو أن أى إنجاز آخر يمكن بسببه أن يغتفر هذا .

شركة ناصرية وهمية :

وبدون تعليق أذكر هذا الخبر : علم مندوب العدالة من مصدر موثوق فيه أن عبد الحكيم جمال عبد الناصر (نجل الزعيم) وابن خالته أحمد حسن الجمال ، قد أسسا شركة استيراد آلات كهربية اسمها « مودرن كوانترز » ومقرها ٢ ش صبرى أبو علم ، برأس مال كتب صوريا ٢٠ ألف جنيه ، والحقيقة –كما يقول المصدر– (٩٥٠) ألف جنيه .

ويقول المصدر أيضا . إنه رأى العقد الصورى ، ورأى الأموال (٩٥٠ ألف جنيه) بنفسه[١] .

ويتعاقد مكتب المشير عامر مع تاجر أثاث على توريد أوراق تذهيب للأثاث .. وكانت هذه الأوراق تدخل مصر بلاجمارك وتباع فى مصر بعشرين ضعفاً(٢) .

---

(١) العدالة فى ديسمبر ١٩٧٧

(٢) روز اليوسف فى ١٧ مايو سنة ١٩٧٦

ويموت قانون من أين لك هذا . . لكيلا يذبح بسكينه من يأكلون باسم الثورة . فأشرف مروان يشترى ضيعة (عزبة) فى الشرقية ، وامتلكت كريمتا الرئيس ناصر فيللتين فى مصر الجديدة خلف ميرلاند . . ثم بعد هذا يقال إنهما بيعتا ولكنهما مسكونتان بهما . . وكيف يتم ذلك ؟ . . أمور لم تتحرك لها مصلحة الضرائب (١) . . ولا المدعى العام الاشتراكى . . ولا المشرفون على قانون من أين لك هذا .

شعار ملكية الشعب :

ويقول الأستاذ إبراهيم أبو سعدة(٢) :

فقدنا الكثير عندما ألغينا — فى الماضى القريب — الحوافز الفردية . وفقدنا أكثر ، عندما أجهزنا على القطاع الخاص تحت شعار ساحر اسمه « ملكية الشعب » !

عندما حرمنا الفرد من الملكية الخاصة فقد حماسه للعمل وقل إنتاجه ، وأصبح مجرد ترس فى عجلة تدور يوماً وتتوقف عن الدوران أياما عديدة ! وعندما حكمنا بالإعدام على القطاع الخاص انعدمت المنافسة ، وساءت الإدارة ، وتدهور الإنتاج ، وانتشرت اللا مبالاة ، وأصبحت الهجرة حلماً يداعب خيال المواطنين !

التمرد على الاشتراكية الناصرية :

قال كمال الدين حسين(٣) فى ٤ مارس ١٩٦٤ لجمال عبد الناصر

---

(١) د : إبراهيم عبده تاريخ بلا وثائق ص ١٢ — ١٣

(٢) أخبار اليوم فى ٢٣-٤-١٩٧٧ .

(٣) روزاليوسف فى ٢١ يولية ١٩٧٥ .

ومعه السادة عبد الحكيم عامر وزكريا محيي الدين وحسين الشافعي وأنور السادات وعبد اللطيف البغدادى :

« الميثاق له وجهان : وجه ماركسي والوجه الآخر إسلامى عربى . وإنه يعترض على الاندفاع لتطبيق الاشتراكية ، معلنا أن هذا سقوط فى هوة الشيوعية ، وأن ما ورد فى الدين كفيل برفع الاستغلال » .

وحاول جمال إقناعه بأن « الاشتراكية العلمية » التى وردت فى الميثاق ليست ضد الإسلام ، كما أظهر أنه ليست هناك نية للتراجع عن التطبيق الاشتراكى حتى ولو وصل الأمر إلى تأميم المحال التجارية الصغيرة » .

وكان كمال الدين حسين الذى سلبت عنه مناصبه المتعددة قد وصل إلى موقف الرفض الكامل لكل ما يدور حوله ، يشعر بأنه غريب عنه ، ومعتقداته التى ربطته يوما بجماعة الإخوان المسلمين قبل الثورة عادت فسيطرت عليه[1] .

ويقول عبد اللطيف البغدادى : إنه لم يحدث أن بلغت المناقشة التى استمرت ثمانى ساعات هذه الدرجة من العنف بين أعضاء المجلس حول القوانين الاشتراكية ، وقدم كمال الدين حسين استقالته الأخيرة وقال فيها : أنا لو بقيت سأفقد نفسى ، وأنا لا أريد أن أفقد نفسى ، ولا أظن أن من مصلحة وطنى أن أفقد نفسى .

---

(١) ارتباط كمال الدين حسين والبغدادى وغيرهما من أعضاء مجلس الثورة كان إما بفلسطين مع المتطوعين الإخوان وإما معهم فى القنال ، ثم استمروا حتى الثورة كأعضاء منتسبين . أى فى دور التثقيف بالدعوة . . وليسوا فى دور القياديين أو مرحلة الإخوان العاملين بواجباتهم التسعة والثلاثين . ذلك أن الدعوة قد جمعت كل وطنى وذى عاطفة نحو الإسلام .

معارضـــة التـــأميم :

وأضافت روز اليوسف تقول :

وعندما عرض « جمال » على مجلس الرئاسة مشروع تأميم المطاحن ومضارب الأرز ومحالج القطن اعترض البغدادى بدعوى مخالفة هذا للميثاق ، وطالب بعرض القانون على مجلس الأمة قبل صدوره .

كان خلاف وجهات النظر حول الصناعة والتأميم هو أكبر خلاف صادف رجال الثورة فى مسيرتهم ، وتبلورت حوله أفكارهم وتحددت مواقفهم ، كان خلافا حول تشكيل المجتمع وليس حول قضية وطنية يواجهون فيها عدوا مشتركا .

وقال حسن إبراهيم : إنه عارض تأميم محال بنزايون وعدس وشملا بعد تأميم محال عمر أفندى ، وذلك لاقتناعه بنقص القدرة اللازمة لإدارة هذه المحال بنجاح .

وقال زكريا محيي الدين : إنه كان يؤمن بأن الملكية الخاصة ضمان للحرية السياسية ، وأن القطاع العام غير مضمون من نواحى الإدارة ، كما أنه لا يجوز تأميم شيء إلا إذا كان هناك الكادر القادر على إدارته إدارة جيدة .

وقال : إنه كان يفضل تحديد ملكية الأسهم فى الشركات للفرد والأسرة ، وبذا يضرب سيطرة رأس المـــال على الحكم .

وأنهى تصوره للموقف بأن جانبا من هذه الإجراءات كان يستهدف سيطرة الحاكم على موارد الرزق أو لقمة العيش — حسب تعبيره .

تعقيب :

وما يراه زكريا محيي الدين من تحديد ملكية الأسهم ينتج ما ينتجه فقد الملكية الخاصة، فكما أن الملكية الخاصة ضمان للحرية السياسية . كذلك ملكية الأسهم ملكية محدودة تجعل الإنسان مشغولا بالرغيف وبعبادة الذين في أيديهم اللقمة من ذوى السلطان فى الحكومة أو القطاع العام .

ويعقب الأستاذ حمروش على ما نقلناه عنه قائلا : ولقد كان معظم أعضاء مجلس القيادة المشاركين فى الحكم يبلعون آراءهم الخاصة .

وكان التوسع الهائل فى تأميم الشركات واستيلاء الدولة عليها غير مضمون بتوافر كادر قيادى من الإداريين والفنيين القادرين على إدارة المؤسسات والشركات إدارة ديمقراطية .

قضية الضباط والزواج :

ثم تضيف المجلة قائلة فى نفس العدد (٢١-٧-٧٥) : وتركزت السلطة فى قبضة ٣ ضباط تزوجوا من ٣ فنانات : عبد الحكيم عامر يتزوج من برلنتى عبد الحميد ، وعلى شفيق صفوت سكرتير المشير يتزوج « مها صبرى » والصاغ عبد المنعم أبو زيد بمكتب المشير يتزوج « سهير فخرى » .

ولهذا صدر القانون ٢٥ لسنة ١٩٦٦ بجعل الاختصاص للنيابة والقضاء العسكرى فى كافة الجرائم التى ترتكب من العسكريين بسبب تأدية وظيفتهم ، أو حتى فى الجرائم الخارجة عن نطاق أعمال وظائفهم إذا انفردوا بالاتهام فيها دون أشخاص مدنيين .

وفى مجلة روز اليوسف الصادرة فى ٢ نوفمبر ١٩٧٥ تشير إلى سر هذا القانون بصورة أكثر وضوحا فتقول :

« تحالف اثنان من أخلص رجال عبد الناصر (أحدهما سكرتيره الوفى محمد أحمد) على كتمان القصة عن عبد الناصر ، وكان السبب هو الطريقة الدرامية المزعجة التى وصل بها النبأ إليهما .

فذات يوم طرق باب أحد الرجلين كاتب معروف — على أبواب الخمسين من العمر — يطلب مقابلة الرئيس عبد الناصر لأمر هام .

قال : إنه تزوج من نجمة سينمائية شابة ، وأنه دعى مع زوجته إلى نزهة خلوية فى إحدى استراحات الفيوم التى كانت خاصة بالملك السابق فاروق ، وأنه ذهب ليجد أن السهرة تضم عدداً من الضباط والفنانات ، فى مقدمتهم المشير عبد الحكيم عامر والفنانة « برلنتى عبد الحميد » .

وقال الكاتب : وأخذ أحد الضباط أثناء السهرة يغازل زوجته بطريقة لا تليق ، فلما اعترض على ذلك زجره المشير زجرا مؤلما ، وأفهمه أن مجرد إعجاب الضابط بزوجته شرف كبير ، فلما واصل الاعتراض أمسك به الرجال والنساء جميعا وضربوه علقة ساخنة ، ثم طردوه خارج الاستراحة بدون زوجته .

ونفى عبد الحكيم القصة قائلا : كنا نقوم بالوساطة لإتمام الطلاق بهدوء بين الرجل وزوجته ، ولكنه عندما عرض شروطه طلب ثمنا باهظا فكان ما كان .

وقد استغل رئيس المخابرات أجهزة التصوير الفوتوغرافية فى تهديد من لاتلين قناتها له ، وممن اتهم بقتلهن الطالبة الجامعية صوفى ياسين التى قيد قتلها بالصحراء ضد مجهول ، واستطاعت راقصة يهودية فى أحد ملاهى الهرم أن تصل إلى برلنتى ممثلة الإغراء تلك الفنانة التى تزوجها المشير ،وكانت تحكم البلد بشخصيتها القوية من خلال عبدالحكيم ،وعملت هذه الراقصة اليهودية سكرتيرة لبرلنتى وزعمت أنها أسلمت وغيرت اسمها إلى « ليلى »،وكانت تساعد فى تهريب المخدرات الإسرائيلية إلى مصر عن طريق بعض الضباط ، فإن هذه السموم تقضى على معنويات الشعب المصرى، كما تهلك بنيته كما حدث فى الصين من قبل .

وكانت عشيقة قائد سلاح الجو المصرى فنانة تدعى « سها » .

وكان عبد الناصر على علم بهذه الأجواء الخاصة التى يعيش فيها القادة الذين تبوءوا مقاعد المسئولية الكبرى .

كما كان الضباط يعرفون أن ليلى مع عملها فى تيسير المخدرات ونشرها وترويجها فى البلاد على صلة بإسرائيل يحتمل معها أن تكون جاسوسة ولكنهم يتغاضون عن جاسوسيتها .

ولقد لعبت ليلى دورها الخطير فى حفل راقص ساهر ليلة ٥ يونية ١٩٦٧ إذ ظلت ترقص والحسناوات لضباط الطيران فى جو يتصاعد فيه دخان الحشيش طوال الليل حتى انتهى اليهود من قصف كل الطيران المصرى .

وكان الرجل الثانى فى السلطة وهو المشير عامر نائب رئيس الجمهورية ونائب القائد الأعلى للقوات المسلحة ــ والقائد العام للقوات

المسلحة ، ورئيس لجان تصفية الإقطاع . والمسئول عن المرافق العامة والمواصلات . . كان هذا المسئول الكبير يرى أن هذه المتع الجسدية المحرمة شيء طبيعي . وعندما يسقط الجسد لايجوز أن يخجل الإنسان .

وتدور فلسفتة باختصار حول أن الحياة حلوة وطيبة . ولكننا نفقد حلاوتها بما نفرض على أنفسنا من قيود»(١). فالتحلل والانحلال الذى تراه الدنيا عيباً .. كان يراه أمراً طبيعيا .. حتى خطف زوجات الآخرين الجميلات وضرب أزواجهن ، فقد أضيف إلى فلسفة الشهوات فلسفة الطبقة الثورية التى مقتضاها أن من الشرف أن يتصل الضابط الثورى بأى امرأة فى أى صورة من الصور .

ما أخذ بالقوة لايسترد بغير القوة ؟

لماذا هذا الشعار الذى أطلقه عبد الناصر فى أعقاب حرب ١٩٦٧مع أنه يتنافى مع تجربته هو فى استرداد ما أخذ عام ١٩٥٦

«ذلك لأن القوة تتطلب السلاح ،والسلاح يأتى من الاتحاد السوفييتى ، وهكذا يثرى الاتحاد السوفييتى على حساب الطبقات العاملة المتحدة من أجل الرفاهية فى جميع أنحاء العالم ، ولا بد أن ينال كل مواطن سوفييتى جهاز تلفزيون ملون ، وفانلات وكلسونات واردة من مصر . لكى يزداد اقتناعاً بثمار الثورة الاشتراكية .

ولقد أصبحت تجارة السلاح هى الموضة الجديدة فى الاستعمار ، كلما اختل ميزان المدفوعات فى أى بلد صناعى، وتزايد التضخم .. وارتفعت موجة الغلاء — كلما دبروا مذبحة هنا أو هناك تؤدى إلى سلسلة من « حروب

(١) محاكمة جمال عبد الناصر ١-١٠٨ (٢) نفس المرجع ص ١١٣—١١٥

التحرير أو «العقيدة» « نحن نقاتل ونريق دماء بعضنا البعض ، لكي تشترى الأسرة الأمريكية سيارة رابعة . وتنتقل الأسرة السوفييتية إلى حجرة جديدة أوسع ملحقة بها دورة مياه لاتشترك فيها أكثر من ثلاث أسر ، ويمكن أن يستعملها شخصان فى وقت واحد ـ نفس الذى كان يحدث فى الهند ـ الشعوب تتحول إلى ديوك تتشاحن لكى يتسلى المتفرجون ويكسب أصحاب الملعب »(١) الذى نصبته الناصرية فى مصر ـ وأمثالها فى غيرها .

الضرب على أيدى المخربين :

وهذا الشعار هو الستار الذى يعلن من أجل فرض الأحكام العرفية ، وتبرير قمع كل رأس ترتفع .

ففى مارس ١٩٥٤ فجرت أربع قنابل فى أماكن متفرقة بالقاهرة ليثار فى الاجتماع الذى كان مقررا انعقاده فى اليوم التالى (٢٠ مارس) قوانين حماية الثورة والديمقراطية .

وفى ٢٦ مارس ١٩٥٤ قامت مظاهرة للعمال قبض ثمنها (الصاوى) نقيب عمال النقل ويبلغ (أربعة آلاف جنيه) نقدا تسلمها من الصاغ أحمد طعيمة

وفى الساعة السادسة والنصف أذاع صلاح سالم تأجيل تنفيذ قرارات ٥ و٢٥ مارس . ومد مدة فترة الانتقال للحياة الدستورية .

واحتج بعض ضباط سلاح الفرسان ، فاعتقل منهم عشرون ضابطاً . وحددت إقامة اللواء محمد نجيب بعزبة زينب الوكيل بجوار المرج فى ١٤ نوفمبر ١٩٥٤ . ليصبح عبد الناصر بعد ذلك فرعون مصر الجديد على حد تعبير السيد كمال الدين حسين والسيد حسن التهامى . وإن كان الدكتور إبراهيم عبده يعترض على هذا الوصف لأن فرعون كان أقل بطشاً بالمصريين من «ناصر»

ثم بدأ ناصر يشق أعضاء مجلس الثورة على بعض ، ويوقع بينهم العداوة والبغضاء ليتخلص من البعض . ثم يوقع بين الباقين ليتقسموا وهكذا حتى أفناهم . . وأخرجهم فرداً فرداً ولم يبق إلا القلة .

---

(١) الأحرار فى ٨ـ٥ـ١٩٧٨ محمد الحديدى .

رفاهية الضباط الثوريين :

يصور إبراهيم طلعت ذلك فى قصة زيارة لأحد هؤلاء الضباط وهو جلال ندا فيقول[1] : « كانت المائدة مليئة بأطيب الطعام . ومائدة جلال ندا دائماً هكذا . الحساء ، والديك الرومى ، والحاج أرز ، والسمان المحلى بالجيلاتين المجهز فى جروبى . . . . الخ . وقال جمال عبد الناصر لجلال ندا ضاحكاً : إيه ده يا جلال .. مائدة المسيح ؟

شعار التحول الاشتراكى والتصنيع :

أعلن الدكتور عبد العزيز حجازى وجوب استرداد العمولات التى حصل عليها بعض الموظفين ، بدون وجه حق ، وأودعوها لحسابهم فى بنوك سويسرا .

لقد انتهجت مصر الخط الاشتراكى منذ سنوات بعيدة ، رفعنا خلالها شعارات لا حصر لها من بينها شعار « ثروات البلاد كلها من حق تحالف قوى الشعب العاملة » ، ومن المؤكد أن هذه الشعارات قد لاقت استجابة من البعض . وأن البعض الآخر لم يطيقها إلا من خلال ألفاظ يرددها فى المناسبات العامة كما يردد الببغاء الذى يسمع ولا يفهم .

ونحن دولة نعيش على الاستيراد : فسياسة التصنيع « من الإبرة للصاروخ » لم تحقق لنا الاكتفاء الذاتى ، وإنتاجنا الصناعى لا يزال يترك «للتمنى» ! وبالتالى فهناك آلاف الصفقات . وآلاف العقود أعقبتها ملايين الجنيهات - بأغلى وأندر العملات - التى صرفت لنا كعمولات .

والمفروض أن تكون هذه العمولات قد دخلت خزانة الشعب الذى دفع ثمن المشتريات ، ولكن الجانب الأكبر منها بدلا من أن يطرق باب البنك الأهلى المصرى ، اتجه إلى باب (يونيون دى بنك سويسر) فى برن ، وجنيف ، وزيوريخ[2] .

---

(١) روز اليوسف فى ١٧ يناير ١٩٧٧ .

(٢) أخبار اليوم فى ٢٢-٣-١٩٧٥ لإبراهيم أبو سعدة .

تذويب الطبقـــات :

ويضيف الدكتور فؤاد زكريا : ومن المؤكد أن الطبقات لم تزل على الإطلاق فى تجربة الاشتراكية الناصرية ، بل إنها وسعت نطاق الطبقة العليا إلى عشرة أضعاف ما كانت عليه ، دون أن تقرب منها الطبقة الدنيا بحيث كانت النتيجة هى زيادة عدد « الأسياد. »

وقال الدكتور زكريا البرى[1] فى أول دورة للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى لمناقشة خطة الدولة لعام ١٩٧٦ فى ٢٣-١٢-١٩٧٥ : إن هناك ٥٠٠ مليونير فى مصر تخرجوا فى عهد الثورة ، فكم مليونير يمكن أن يخرج فى عهد الانفتاح ؟ وأجاب الأمين الأول : لم يحدث تصريح رسمى بوجود ٥٠٠ مليونير ولكنه نشر فى صحف أجنبية وقد ذكر الرئيس فى أمريكا أن الدخول الطفيلية يجب أن تواجهها الدولة بحزم ، وأن يعاد النظر فى قانون الضرائب . فقال زكريا هى الـ ٢٠٠٠ مليون جنيه عمولة من دم الشعب قانونية أم غير قانونية ؟

وقال البغدادى[2] :

وفى ديسمبر ١٩٥٧ استقلت أنا وكمال الدين حسين من رئاسة مجلس الأمة ولم يكن مضى على قيام أول مجلس نيابى بعد الثورة إلا أشهر قلائل ، لأن اللجنة الدستورية والقانونية بالمجلس قررت صحة جمع خمسة من أعضاء المجلس بين عضوية المجلس والعمل بمديرية التحرير ، رغم أن مديرية التحرير جهاز من أجهزة الدولة الخاضعة لرقابة المجلس ، وذلك بضغط شديد من جمال عبد الناصر .

هذا مع قانون تحريم الجمع بين وظيفتين على مثل « المأذونية فى القرية مع إمامة المسجد أو وظيفة مقيم شعائر » .

---

(١) الأهرام فى ٢٤-١٢-١٩٧٥ .

(٢) أخبار اليوم ١٢-٧-١٩٧٥

لمـــاذا بقيت الألقاب :

ألغت الثورة الألقاب بمجرد قيامها . ومع ذلك فلا تزال الألقاب تستخدم فى المحادثات اليومية حتى اليوم ، لأن مبررات الألقاب مازالت قائمة ، فالألقاب كانت تعكس وضعا طبقيا معينا . ولا يكفى لإزالة هذا الوضع أن تلغى الألقاب بقرار حكومى ، ولذلك استمرت متداولة على الألسن ، لأن بلادنا بالفعل مازالت مليئة بالبكوات ، ويكفى أن نقارن بين رئيس إحدى المؤسسات والعامل البسيط فيها ، ليس فقط من حيث دخله أو نمطه أو معيشته . بل أيضا من حيث نظرته إلى نفسه ومدى إحساسه بكرامته كعضو فى المجتمع ، لـكى تدرك بوضوح أن الفوارق بين الطبقات مازالت على ما كانت عليه (قبل الناصرية) بل زادت كماً وكيفا .

التطبيق الناصرى للاشتراكية :

يقول د. فؤاد زكريا[1] : إن التأميم وإنشاء قطاع عام واسع إنما هما وسيلة لـكى تتم السيطرة على وسائل الإنتاج ، ويرتد عائد هذا الإنتاج إلى الشعب[2] .

---

(١) روز اليوسف – ع : ٢٤٤٤ فى ١٤-٤-١٩٧٥ .

(٢) أمانة النقل جعلتنى أذكر هذه الفقرة . وأرى أن الاشتراكية فى ذاتها بالسيطرة على وسائل الإنتاج تنزع الرخاء والارتياح فى المعيشة عن الذين نزعت من قبضتهم وسائل الإنتاج ، وتكسو بالرفاهية والترف والبذخ المقزز أولئك الذين استولوا عليها تحوطهم حراب السلطة . . والدليل هو الواقع الملموس فى كل الشعوب الاشتراكية . ولأن فطرة الإنسان هكذا ما لم يرزق زهد المؤمنين بالله والآخرة إيمانا عميقا .

بقاء الفقير على وضعه :

وعلى العكس من ذلك التجربة الاشتراكية الناصرية : فإنها لم تضع الطبقات الشعبية نصب عينيها دائماً فيما كانت تتخذه من إجراءات . بل كانت فى بعض الأحيان تصدر قرارات يعجب المرء حقاً لصدورها فى عهد اشتراكى ، كرفع سعر الأرز والنفط ، وهما مادتان أساسيتان للكادحين الفقراء ، فى الوقت الذى تحتفظ فيه لكبار الموظفين ورجال الدولة بكل الامتيازات التى وصلت أحيانا إلى حد الترف والبذخ المقزز .

ويكفى أن الجنيهات المعدودة للعامل والموظف الصغير كانت تظل ثابتة أو تنقص ، فى الوقت الذى ظلت فيه قوتها الشرائية تضعف عاما بعد عام ، بينما الواجب تخفيض أسعار المواد الأساسية ، وهو أمر لم يحدث عندنا فى حالة واحدة » .

أعرف مثلا بهيا شرقية مدرسا اسمه « عزيز » رأيته فى معتقل طرة السياسى فى العهد الناصرى تهمته أنه تألم من زيادة سعر الأرز ، وأعرف أن بدل الانتقال الذى كان عشرين جنيها لوكلاء الوزارات صار ٧٥ جنيها بدل تمثيل لوكيل الوزارة ونحو مائة وخمسين للوكيل الأول . وتقول روزاليوسف فى ٢١ يوليه سنة ١٩٧٥ : أن المقرر معاشا لأعضاء مجلس قيادة الثورة خمسمائة جنيه فى الشهر — سيارة من رياسة الجمهورية — خط تليفونى — جواز سفر دبلوماسى — حق السفر عائليا فى السكك الحديدية مدى الحياة — حق العلاج المجانى فى مستشفيات القوات المسلحة

إن الدولة فى بعض النظم تسيطر على المرافق الإنتاجية لخدمة جهازها

الخاص ، ولتتخلص من الخطورة التى يشكلها وجود المـــال وأدوات الإنتاج فى أيدى طبقة منافسة .

وربما بدا للبعض أن هذا النقد الأخير له مبرراته القوية فى حالة التجربة الناصرية بالذات ، إذ قد لا يكون من المصادفات أن تبدأ إجراءات التأميم فى أواخر أيام الوحدة مع سوريا حتى بدأت الطبقة المسيطرة على المـــال فى الإقليم الشمالى تناوئ الوحدة بوضوح ، وتعززت هذه الإجراءات فى مصر حين تبين — بعد الانفصال — أن هذه الطبقة تشكل خطرا حقيقيا ، وأنها تستطيع أن تهدد النظام القائم بما لديها من قوة اقتصادية .

كذلك سيكون من الصعب الرد على النقد الذى تردد على ألسنة الكثيرين ، والذى قيل فيه : إن هذه السيطرة على مرافق الإنتاج يمكن — فى أحوال معينة — أن تنقلب إلى اجراء فى غير مصلحة الشعب إذا كانت السياسة العامة للدولة التى تحدث فيها هذه السيطرة سياسة مغامرات وشراء للأعوان والأنصار فى الداخل والخارج ، وكلها أمور تحتاج إلى أموال لن تتوافر إذا كان الإنتاج فى أيدى أفراد .

انعـــدام الرقـــابة :

ثم قال : ولعل الأمر الذى يدهشنى حقاً سكوت اليساريين عليه — فى التجربة الناصرية — هو الانعدام التام للرقابة الشعبية على المال العام ، فقد تدفقت أموال كثيرة ابتداء من القصور الملكية المصادرة حتى أموال المجهود الحربى ، مروراً بالحراسات العامة وغيرها ، فى مسارب ليست

كلها معروفة ، وظهرت حالات عديدة من الثراء غير المشروع لدى أفراد لم يكن إيرادهم أو دخلهم ليسمح لهم بأن يكونوا من الأثرياء.

والأهم من ذلك أن الوظائف العامة ذاتها أصبحت ــ خلال فترة طويلة من هذه التجربة ــ فرصة للحصول على مغانم ، لا لأداء خدمات عامة .

ومن المؤكد أن أجهزة كثيرة كانت تعرف تفاصيل حالات استغلال النفوذ التى كان معدلها يزداد عاما بعد عام ، ولكنها كانت تصمت أو تتستر عليها ، ولا تستغل ما تعرفه من معلومات إلا فى الحالات التى تريد فيها أن تفضح شيئا .

وبوصفى مواطنا عاديا يحس بالقلق على مصير بلاده ، فإنى لا أستطيع إلا أن أقول إن تجربة الاشتراكية الناصرية يكاد يكون استغلال النفوذ هو القاعدة فيها ، والنزاهة هى الشذوذ .

وتلك هى النتيجة المنطقية لانعدام الرقابة الشعبية على المال ، ولأن معظم المستغلين كانوا يستندون إلى مراكز القوى بأحبالها المختلفة ، ومن ثم كانوا فى كثير من الأحيان يرتكبون آثامهم بطريقة شبه علنية ، اعتمادا على متانة « المسند » الذى يرتكزون عليه » .

مجوهرات أسرة محمد على :

ومن هذا القبيل ما جاء فى أخبار اليوم[1] تقول : كتب محمود أحمد الكردى كتابه « القضية الكبرى » ، وكتب إبراهيم الطحاوى

(١) أخبار اليوم فى ٢-٨-١٩٧٥ .

مقدمته . وفى صفحة ٢٠ يقول ما نصه : « وقد جمعت مجوهرات أسرة محمد على بالإسكندرية فى ٢٧ صندوقا سعة الصندوق متر مكعب » .

ويسأل محمد أحمد إبراهيم أخبار اليوم : أين أودع كل ما قرأ عنه فى الكتاب من المجوهرات التى احتجزت فى قصور الإسكندرية . وأين ما حجز فى غير الإسكندرية ؟

نفقـــات الاتحاد الاشتراكى :

٦ مليون جنيه كان يحصل عليها الاتحاد الاشتراكى سنويا ولا توجد ميزانية . نشرت أخبار اليوم فى ٢٩-٥-١٩٧١ تحت هذا العنوان ما يلى :

الإيرادات :

اشتراكات ٨ مليون عضو	٠٠٠و٥٠٠و١ جنيها
دور النشر والهيئات	٠٠٠و٣٨٠
فصول الخدمات	٠٠٠و٩٣٠
تبرعات الجماهير	٠٠٠و٤٢٠
إعانات الحكومة	٠٠٠و٢٠٠و٣

المصروفات :

٢٥٠ جنيها بدل طبيعة عمل لأمانة المحافظة

١٥٠ جنيها بدل طبيعة عمل لأمين القسم

٢٧ جنيها بدل طبيعة عمل لأمين مساعد القسم

٣٥٠ جنيها بدل طبيعة عمل للأمين العام للمحافظة
١٦٥ جنيها مصاريف سيارة خاصة شهريا لكل أمين ومساعد.

وتقول الصحيفة: «كشفت التحقيقات التى تجريها النيابة العامة مع أعضاء التنظيم السرى بالاتحاد الاشتراكى عن وجود اختلاسات ومخالفات مالية خطيرة، فأحد الأعضاء حول ٢٥ ألف جنيه باسم زوجته، وآخر حول خمسة آلاف جنيه باسمه، وثالث أمر بصرف شيك بألف جنيه لاستقبال سيادته.

وتذكر الصحيفة أن أعضاء التنظيم كانوا يسافرون إلى الخارج بلا حساب، وأن وفداً أجنبيا دعى وهو مكون من أربعين عضوا فعين لمرافقته ١٦٠ عضوا.

ولولا مؤامرة مراكز القوى ما افتضح أمرهم وجرت هذه التحقيقات.

وفى ١٥-٣-١٩٧٦ نشرت روز اليوسف بيانا بالمرتبات التى يتقاضاها الأمناء كبدل تمثيل تجرى على الوجه الآتى:

١٢٥ جنيه للسادة المتفرغين: يوسف مكادى – صلاح غريب – حسين أحمد حسين لكل منهم.

٩٩ لغير المتفرغين: لكل من طعيمة الجرف – سعاد أبو السعود – بطرس بطرس غالى، مع خصم ٧ جنيهات من بطرس.

وبالإضافة إلى هذه البدلات فقد تسلم السيد يوسف مكادى رئيس الوجه القبلى فى ذاك الأسبوع وعلى حساب الاتحاد الاشتراكى سيارة مرسيدس (٤٠٢٣٠) وهى أحدث سيارة أنتجتها مرسيدس وثمنها يتجاوز عشرة آلاف جنيه.

وفضلا عن المقرر للعاملين بالاتحاد الاشتراكى رفع بدل التمثيل لوكلاء الوزارات وبدل سيارة إلى ١٥٠ جنيها لوكيل وزارة أول و ٧٥ جنيها لوكيل وزارة ثان بدلا من عشرين جنيها[١].

ولماذا يعفى بدل التمثيل من الضرائب ؟ ان هذا الاستثناء يعنى أن أن الضريبة بدلا من أن تصبح تصاعدية ، تتحول إلى ضريبة تنازلية . أى ينخفض سعرها بنسبة كبيرة . أين العدالة ؟ كذلك بدل الجامعة . وبدل أعضاء لمجلس الشعب وبدلات الجيش والشرطة يجب أن يخضع الجميع للضرائب حتى يسهم الكل فى الأعباء .

أما الصحافة فالتعديلات بلغت حداً حسبك أن تعلم معه أن أحد العمال فى أدنى السلم عندما تناول آخر الشهر مستحقاته التى وصلت ١٤٠ جنيها قال لرئيسه: أنا لا أعرف أين أصرف هذا المبلغ الكبير. احفظ هذه الزيادة عندك وتصرف فيها لمصلحتى أنا والأولاد . . ويبلغ دخل المديرين ورؤساء مجالس الإدارات بصفة استثنائية ما يتجاوز الحد الأقصى للدخول . . فبعضهم يتضاءل أمام مستحقاته الشهرية مرتب رئيس الوزراء . باعتبار الصحافة هى أهم وسائل الإعلام التى تعلى وتخفض فى قلوب الناس منازل ذوى الشأن .

مخصصات أعضاء مجلس الثورة :

نشرت روز اليوسف فى ٢١ يوليو ١٩٧٥ م المقرر معاشات لأعضاء مجلس قيادة الثورة وبيانه كالآتى :

١ – خمسمائة جنيه فى الشهر .

٢ – سيارة من رئاسة الجمهورية .

---

(١) الأخبار د. على لطفى أستاذ الاقتصاد بجامعة عين شمس فى ٢٢-٢-٧٧ .

٣ ــ خط تليفونى .

٤ ــ جواز سفر دبلوماسى .

٥ ــ حق السفر عائليا فى السكة الحديد مدى الحياة .

٦ ــ حق العلاج المجانى فى مستشفيات القوات المسلحة . ولقد أخذ مجلس الشعب يناقش مخصصات أسرة جمال عبد الناصر أخيرا وتبلغ نحو مليون جنيه سنويا .

كما صدر قرار جمهورى بمنح كل ضابط من الضباط الذين اشتركوا فى ليلة ٢٣ يوليو معاش وزير .. وكان جزاء الله ومثوبته على جهادهم فى الآخرة أفضل ، بل توسعت السلطات فأصبح من يراد ترضيته من العسكريين والسياسيين يبعد بعد أن تعمل له الإجراءات التى بها يأخذ معاش وزير ، وبلغ عدد المواطنين الذين يجلسون فى بيوتهم ويتقاضون معاش وزير ستة آلاف . . يتفرغون معها لأنواع الاستثمارات الأخرى (١)

وإذا تركنا هذه النواحى واتجهنا إلى صنبور الذهب الذى يتدفق فى دور الملاهى والمشتغلين باللهو السياحى واللهو الخفى فحدث ولا حرج

صــورة لإمكانيــات ملهـى :

فى تحقيق صحفى لروز اليوسف عن الملاهى التى أصابها النهب فى شارع الهرم « لاس فيجاس » القاهرة يقول :

فى شارع الهرم عشرون كباريه لم تصب الحوادث منها إلا ستة وفى كازينو الليل « رئيس السفرجية عادل عبد الوهاب . يرتدى الملابس البلدية الصوف ، معظم أسنانه مغطاة بالفضة ، يدخن سيجارة « كنت » ، مكسبه فى اليوم ٤ جنيهات . وبالملهى ٢٠٠ عامل وموظف ــ يحصل من تذاكر الدخول على ٣٠٠ جنيه يوميا .

---

(١) أقول للسلطان للدكتور إبراهيم عبده ص ٧٥-٧٦

ما نهب من المحل كان ٧٠٠ كرسى و ٢٠٠ ترابيزة ومخزن للويسكى به ما قيمته (٨٠ ألف جنيه) تباع الزجاجة بستين جنيها .

ومخزن للصينى كان مستوردا من فرنسا ولم تفتح علبه التى تقدر بـ (١٢ ألف جنيه صينى) — خزانة حديدية بمكتب زوج مدام شريفة فاضل بها عشرون ألف جنيه .

غرفة شريفة فاضل :

بها جهاز تليفزيون . دواليب « بلاكار » فى الحائط وأدوات ماكياج وتقدر الثياب والأدوات بحوالى عشرة آلاف جنيه لأن ثمن الفستان الواحد لا يقل عن خمسمائة جنيه .

الديكورات تكلفت ٤٥ ألف جنيه — والأدوات الموسيقية التى سرقت بعشرة آلاف جنيه .

كما سرقت ملابس الفنانين والعمال وعمل بهذا محضر برقم ٧٨٨ إدارى قسم بولاق الدكرور . هذا وما خفى ولم يسرق يعطيك فكرة عن تطبيق الناصرية للاشتراكية .

من دفاتر المنتجين :

نشرت الأخبار فى ٢٢-٢-٧٧ تحت هذا العنوان ما يلى ، نذكره على سبيل المثال لجنون اللهو فى مصر الناصرية :

- تصدر «سونيا والمجنون» لحسام الدين مصطفى قائمة الإيرادات فى أسبوعه السادس فقد حقق (٥٣٧٩ جنيها) .
- حقق « جنس ناعم » لمحمد عبد العزيز فى أسبوعه الأول ٥١٠٧ جنيها (إحدى حفلات السواريه خصصت لحفل فايزة أحمد) .
- حقق « عندما يسقط الجسد » لنادر جلال فى أسبوعه السادس ٣٠١٩ جنيها .

• حقق « دائرة الانتقام » لسمير سيف فى أسبوعه السابع عشر ٢٦٠٨ جنيهات .

• حقق « شلة الأنس » ليحيي العلمى فى أسبوعه العاشر ٢٣٤٢ جنيها .

• حقق « حكمتك يا رب » لحسام الدين مصطفى فى أسبوعه العاشر ٢٠٣٦ جنيها .

وفى يوم آخر تحت العنوان نفسه ما نصه :

• يصدر فيلم « الفاتنة والصعلوك » لحسين عمارة فى أسبوعه الرابع فقد حقق ٤٣٦٢ جنيها .

• حقق « ممنوع فى ليلة الدخلة » لحسن الصيفى فى أسبوعه الثالث ٣٥٩٦ جنيها .

• حقق « شـــوق » لأشرف فهمى فى أسبوعه الحادى عشر ٢٦٥٧ جنيها .

• حقق « وعادت الحياة » لنادر جلال فى أسبوعه الثانى ١٦٠٠ جنيه .

• حقق الفيلم الأمريكى « الفلك المفترس » فى أسبوعه السادس ٦٦٧٤ جنيها .

سوء التصرف فى الخطة :

وقال السيد « ممدوح سالم » رئيس الوزراء فى مجلس الشعب : إن خطة ١٩٦٠-١٩٦٥ هى سبب مانعانيه الآن ؛ لأنها لم تكن خطة بالمفهوم الصحيح ، وإن الحكومة وضعت خطة عام ٧٦ لضغط الإنفاق العام ٢٠٪ ونفذت هذه الخطة[١] .

---

(١) الأهرام ٢٧-١٢-٧٦ .

عصر السرقات الآمنة

كتب إحسان عبد القدوس قصة ، وإن شئت قلت حواراً بين مسجون سياسي ولص . من لقطاتها هذا الحوار[1] :

« عندما قبض عليه « السياسى » لم يفاجأ ولم يهتز ، وفى هدوء ابتسم لضابط البوليس الذى جاء لتنفيذ الأوامر ، وألقى احتياجاته داخل حقيبة صغيرة وسار معه فى الطريق الذى تعوده . . الطريق إلى السجن ، ولكن الذى أثاره هو أنه وجد نفسه داخل زنزانة واحدة مع مجرم عادى . لص معروف . وقد استقبله اللص .

اللص : أهلا بك . شرفتنا . نحن زملاء .

السياسى : تقصد زملاء فى الزنزانة .

اللص : لا . بل أقصد زملاء فى الجهاد .

السياسى : إنك لص .

اللص : لا تردد هذه الصفة (لص) . إنك إنسان مثقف وعيب عليك أن تقع فى نفس أخطاء الإنسان الجاهل الذى يكتفى بترديد الكلمات العامة (لص . خائن . . مجاهد . بطل) إنك مثلا يمكن أن نطلق عليك صفة عامة لا ترضيك «عميل» ، إن كل السياسيين المعارضين مثلك تطلق عليهم هذه الصفة . عميل روسى – عميل أمريكى . عميل . .

---

(١) الأهرام فى ١١-١٠-١٩٧٤ .

عميل . . وحتى تنفى هذه الصفة عن نفسك يجب أن تعلن دوافع أعمالك وأهدافك وأسرار اتصالاتك وتحركاتك . وبعد كل هذا يمكن أن تكون مجاهداً وطنيا حراً ، أو عميلا .

وكذلك اللص . إن اللصوصية عملية أخذ . ولكن لماذا يأخذ هذا اللص . ما هى دوافعه . ربما يكون قد أخذ ليأكل . وفى هذه الحالة لا يطلق عليه لقب « لص » بل يطلق عليه لقب « محتاج » ويحاكم معه المجتمع الذى وصل به إلى الحاجة .

السياسى : اسمع يا رجل . إنك تحاول أن ترفع نفسك إلى مستوى الجهاد الوطنى ، ولكن يجب أن تعرف أن ليس هناك أى إحساس وطنى يحرض على الاعتداء على البيوت وعلى الناس ، مهما كانت الدوافع والأهداف . إن هناك شيئا اسمه القانون .

اللص : (دون أن يفقد هدوءه) : الوطنية أقوى من القانون . هل قامت ثورة فى الدنيا بحكم القانون . أو فى حماية القانون ؟

السياسى : هذا لا ينطبق على ما تأخذه أنت .

اللص : لماذا ؟ فكر قليلا . استعرض فى ذاكرتك التاريخ القريب . لقد قامت الثورة واستولت على قصور الملك والعائلة المالكة ، وكانت مليئة بالتحف العالمية والمجوهرات ، والماس . والذهب ، وما لا يصدقه عقل . وصحيح أن الثورة أيامها أقامت مزادا عالميا ، لبيع مخلفات هذه الأسرة ، ولكنك تعلم ، والعالم كله يعرف ، أن ما عرض فى هذا المزاد ليس كل ما كان فى القصور . الباقى أخذوه أخذه الذين كانوا يشرفون على هذه القصور ، والذين أخذوه لم يطبق عليهم القانون ولم يقبض عليهم . لماذا ؟ لأن الوطنية أقوى من القانون .

إن هذه التحف والمجوهرات امتصتها العائلة المالكة من دم الشعب . فأصبح من حق الشعب أن يستولى عليها . صحيح أنه ليس الشعب فى صورته العامة هو الذى استولى عليها ، ولكنهم على الأقل مجموعة أفراد من الطبقة الشعبية . لذلك أعتبر ما أخذ أيامها ليس عملية لصوصية .

السياسى : إنك تتلمس أخطاء الثورة حتى ترفع جرائمك إلى مستواها .

اللص : أنا لا أتلمس أخطاء أحد ، ولكنى أحاول أن أقدم لك نفسى بالأسلوب الذى تفهمه . الأسلوب العلمى .

اسمع : بعد الانتهاء من الأسرة المالكة فرضت الحراسات على بيوت الطبقة التى تسمونها « الطبقة الإقطاعية والرأسمالية » . وعلى بيوت أخرى أصحابها ليسوا من الإقطاعيين أو الرأسماليين ولكنهم من الخطرين السياسيين ، وكان المكلفون بفرض هذه الحراسات يدخلون البيوت فى حماية البوليس . ويمدون أيديهم إلى ما يجدونه من حلى ونقود ويضعونها فى جيوبهم .

لقد التقيت بشخص محترم كان يبيع سوارا من الماس أخذه من عائلة « محروسة » أثناء فرض إجراءات الحراسة عليها ، وكان يبيعه لنفس التاجر الذى أبيع له ما آخذه (أسرقه) أنا .

وفى نفس الوقت أممت الشركات والدور التجارية الكبيرة ، وعين لكل منها قائد أو رئيس مسئول ، ليس له صفة إلا أنه من المخلصين للثورة . أى شخصية سياسية ، قد تفهم فى السياسة ولا تفهم لا فى التجارة ولا فى الصناعة ، وكثير من هؤلاء أيضا مد يده وأخذ ،

ووضع ما أخذه فى جيوبه، وكل الذين تولوا فرض الحراسة أو فرض التأميم لم يحاسب أحد منهم ، ولا طبق عليه القانون . لمـــاذا ؟ لأن الوطنية أقوى من القانون . وهذه كلها إجراءات وطنية وسياسية

توضع فوق القانون . لأنها تهدف إلى استعادة أموال الشعب ، واعتبر كل مسئول نفسه أنه الشعب ، واستعاد الأموال ووضعها فى جيبه .

السياسى : وأنت هل أنت لص حراسة أم لص تأميم .

اللص : أنا لا لص حراسة ولا لص تأميم . أنا لص شعبى . وعلى عكس ما تعتقد ، فإنى منذ وعيت وأنا أهوى تتبع الحياة السياسية والاجتماعية إلى أن اكتشفت أن الحياة كلها أصبح يسيطر عليها اللصوصية . والفقير أو الرجل العادى لا يعيش فقيرا أو عاديا لأنه أمين شريف ولكن لأنه فاشل غبى[1].

والقانون : إنه أصبح كالبيوت الشعبية . أو بيوت الفلاحين . لا يقيم تحت سقفه إلا « الغلابة » الضعفاء . . بل إن القانون أصبح كسلاح إرهاب لا يطبق على أحد من المسئولين إلا إذا رأت السلطة تطبيقه عليه .

إذا تحديت السلطة أو أغضبتها طبق عليك القانون ، وإذا كنت مرضيا عنك من السلطة أعفتك من القانون .. وأكثر من ذلك .. و .. و

صرخ السياسى فى وجهه قائلا :

---

(١) لا نسلم للكاتب هذا فى سبيل الشرف قد (تموت الحرة ولا تأكل بثدييها) كما يقول المثل .

ــ أنا لا أستطيع وأنا فى زنزانة أن أسمع خطابا سياسيا . ماذا تريد أن تقول .

ــ إن هناك ما تسمونه الثورة المضادة . أى ثورة على الثورة ، وكل من يؤمن بالثورة المضادة يدعى أنه يعبر عن إرادة الشعب . وكذلك السرقات المضادة . أنا لم أكن أسرق أحداً إلا إذا كان يستحق السرقة . رافعا شعار : من سرق يسرق ولو بعد حين .

(وصرخ فى وجه اللص) :

لا تحاول أن تخدعنى . إن « من سرق يسرق » يمكن أن تتسع حتى تنادى بأن من قتل يقتل بلا محاكمة وبلا قانون . هذه فوضى . حتى تبرر أطماعك وجشعك .

وقال اللص : (دون أن يفقد هدوءه)

لا تلق الاتهامات أنت أيضا بلا محاكمة . إنى أنا الآخر يمكن أن أتهمك أنك لا تعمل فى السياسة من أجل الوطن . بل لمجرد أن تصل إلى الحكم وتصبح وزيراً أو رجلا مهما ، له سيارة مرسيدس حكومية ، ويسير فى ركابه جنود يحيونه «تعظيم سلام» ، ثم إن مبدأ السرقة المضادة الذى أدعو إليه هو مبدأ مرحلة ينتهى بانتهائها . عندما ينتهى عصر السرقات الآمنة ويخضع كل السارقين للقانون مهما ارتفعت مراكزهم الرسمية .

أمثلة :

هنالك حديث يدور حول بيع مجوهرات لأخت الملك فاروق بأوربا وكذلك طقم فضة لمنى عبود كان يباع فى لندن ، لماذا لم يرصد هذا فى الأموال المصادرة ، وقد فاحت رائحة اتهام وزير تموين سابق مع تجار

فاكهة ومخدرات .. وخرج من التهم مع الاعتراف سالماً شريفاً ، وهناك قضية النقل البحرى المتهم فيها عديل وزير المواصلات ، وقضية الشركة العقارية المصرية المتهم فيها وزير الإصلاح الزراعى فى ذلك العهد العامر بقضايا الفساد .. كلها تطلب إجابة عما يقوله الكتاب ويجرى على ألسنة الناس(١) .

أمثلة أخرى :

عندما صدر قانون الحراسة كان أحد أعمام بطل من أبطال الثورة - « يعلم - بحكم قرابته أسماء من ستوضع أسماؤهم فى كشوف الحراسة .. وعلى الفور يتصل بهؤلاء المواطنين »..فيخبرهم بالكارثة التى تنتظرهم .. « وبسرعة يعرض المواطن البائس عمارته أو عزبته أو محله التجارى أو أى شيء ثابت وثمين ويغل إيراداً محترماً . فأى قرش يأتى من هنا من باب إنقاذ ما يمكن إنقاذه .

وهكذا أصبح العم من أصحاب العمارات أو العزب والشركات فى جميع أنحاء الجمهورية بلا تعب أو مجهود » .

ولمركز القوى شقيق كان مدرساً إلزامياً . . فتحت له الدنيا ذراعيها فأصبح مليونيراً ، ويسـافر مصحوباً بكل المظاهر التى تحيط أشقاء الأباطرة . من حرس خاص وكلاب ضخمة كمظهر من مظاهر الأرستقراطية المريضة .

وانتشر لغط واسع : أن أحد كبار مراكز القوى قد هرّب إلى سويسرا ملايين الجنيهات أودعها على طريقة الأحرف السرية ، وإن أحداً لم يستطع إثبات ملكية الحكومة لهذه الأموال الطائلة » .

---

(١) تاريخ بلا وثائق ص ٦١ .

وهناك قضية « الاستيراد » أى الجناية رقم ٣٨١–١٩٦٣ عسكرية عليا، وفيها عشرون متهماً من بينهم جمال الدين فؤاد — صهر على صبرى رئيس الوزراء ونائب رئيس الجمهورية فى ذلك الوقت ، وكان رئيساً لمجلس إدارة إحدى شركات القطاع العام ، وتهمته أنه قبل رشوة قدرها ثلاثة آلاف جنيه، وأدين ثلاثة فقط وحكم ببراءة باقى المتهمين بما فيهم السيد المدير صهر رئيس الوزراء، والتاجر بسيونى جمعة صاحب المصلحة رغم اعتراف المدير والتاجر ، ولكن حكم البراءة أقيم على أساس ضعف ذاكرة المدير ، بالرغم من أن ضعف الذاكرة لايؤدى إلى الاعتراف بوقائع رشوة وهى حالة إيجابية ، وبالرغم من أن السيد المدير والتاجر المتهم بالرشوة لم يذكرا أن اعترافاتهما صدرت تحت تأثير تعذيب أو خديعة أو أى مؤثر غير مشروع .. ولعلها المرة الأولى فى تاريخ القضاء التى يحمل فيها عدم صحة الاعتراف على عدم الذاكرة ..

وفى إحدى رحلات على صبرى إلى موسكو عاد بما ثقل وزنه وثمنه معا .. من سجاجيد وأثاث .. ودخلت عربتا نقل إلى الجمرك وحملتا الصناديق وخرجتا بدون دفع أى مليم للجمرك. . ونشر الأهرام الخبر وتوقع الناس أموراً أقلها دفع الجمرك والطرد من كل المناصب إن لم يكن الحبس .. ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث(١) .

ووضع إمام الاشتراكيين فى مصر على صبرى عينه على فيلا « لطفى سباهى » تاجر الغزل المعروف، وتقدر بأثاثها بما يزيد عن ثمانين ألف جنيه . فاشتراها من الحراسة باثنى عشر ألفا .

---

(١) سنوات العار ص ١١٥ : ١٢٩ .

محــاولة لنقاء ثورى :

استغل بعض العاملين فى سكرتارية المشير موقفهم ، واستخدموا الطائرات الحربية لنقل بضائعهم من الخارج لحسابهم . وعندما أمر عبد الناصر بالتحقيق مع فريق السكرتارية (الخاص بالمشير) وجدها شمس بدران فرصة وأطاح بعلى شفيق ومجموعته وقدمهم للمحاكمة ثم السجن ، واستدعى عبد الناصر شمس بدران وعبد المجيد فريد وسامى شرف ، وربما محمد أحمد ، وتكلم طويلا عن النقاء الثورى . ثم طلب منهم أن يقوموا بإجراء حصر شامل لأمثال هذه التصرفات التى أصبحت تزكم الأنوف ، وخرج الثلاثة إلى اجتماع طويل بمكتب المعلومات ، وافتقروا إلى الصراحة التى لابد منها فى مثل هذه المهمة . ولم يستطع المجتمعون فى النهاية إلا اتخاذ قرار بتأجيل اجتماعهم إلى موعد آخر . وكان الاجتماع الأول هو الاجتماع الأخير[1] .

تعقيب :

ولم تذكر الصحيفة لم سكت جمال عبد الناصر فلم يطلب من المجتمعين بيانا عما كلفهم به ؟ ولكن ذكرت الصحف عام ١٩٧٧ ظهور عشرة ملايين جنيه مع على شفيق بلندن وأمثالها عند بدران .

• • •

---

(١) روزاليوسف ى ١٤-٦-١٩٧٦

تناقض الشعارات الاشتراكية مع الواقع

صرح وزير التخطيط[1] بأننا منذ عام ١٩٦١ ونحن نعيش فى ظل رأسمالية الدولة . ثم قال مصطفى أمين « وأصبح معروفا أن الميثاق كان حبراً على ورق ، وأن بيان ٣٠ مارس كان مقصوداً به احتواء سخط الرأى العام ، وأن اشتراكية الستينات كانت هى سبب ما أصبحنا فيه من خراب ، وأنها هى التى مهدت لهزيمة ٥ يونيو المروعة ، وأن مراكز القوى كانوا هم الباشاوات الجدد .

وليس سراً أن القيود على الحرية أوجدت انفصالا شبكيا بين الشعب وحكامه ، فقد كانت خديعة الشعب الكبرى التى انكشفت له يوم هزيمة ٥ يونيو سببا فى قيام أزمة عدم التصديق »[1].

وقال الدكتور لويس عوض[2] :

إذا كانت ثورة ١٩١٩ قد جاءت لتحقيق استقلال مصر السياسى فقد جاءت ثورة ١٩٥٢ قبل كل شىء لتحقيق استقلال مصر الاقتصادى بزيادة إنتاجها الصناعى والزراعى . ويجب أن تقاس إنجازاتها بهذا المقياس قبل سواه بالنسبة للأمة فى مجموعها . وبالنسبة للطبقات والأفراد .

بعد أن أعلنت (الثورة) فى « الميثاق » أنها تبنى القطاع العام فى سبيل الاشتراكية . وليس فى سبيل رأسمالية الدولة . سلمت بعض

(١) أخبار اليوم فى ١٨ يونية ١٩٧٧ .

(٢) الأهرام فى ١١-١٠-١٩٧٤

أجنحة الإدارة والصناعة لقيادات رأسمالية العقلية ، رأسمالية التكوين رأسمالية الأهداف والمصالح .

فمن ذا الذى يعقل أن أمة تسير إلى الاشتراكية ، أو تقول : إنها تسير إليها وهى تستورد بالنقد الأجنبي ، أو تنتج السيارة الشخصية المعانة من مال الدولة . قبل أن تستورد أو تنتج « الأوتوبيس » العام ، و « لوريات » النقل العام ، فتزحم شوارع العاصمة بمائة ألف مركبة نصفها لا يحتاج إليه أصحابه حاجة حقيقية ، وتخلق لنفسها مشكلات الأنفاق والكبارى واختناقات المرور ، وقس على هذا كثيرا .

لست أظن أن مشهد البشر يساقون كالأنعام فى أتوبيسات القاهرة يقربنا كثيرا من مفهوم التقدم الحضارى بأى مقياس من المقاييس ، مهما بدا لنا أننا نوفر الراحة للطبقات الميسورة .

بل أخطر من ذلك : من ذا الذى يعقل أن أمة ترهن حاضرها ومستقبلها على الإنتاج الصناعى والزراعى ، تبنى المجتمع الاستهلاكى بمقدار ما تبنى المجتمع الإنتاجى . وربما بأكثر مما تبنى المجتمع الإنتاجى ، فتحبط الادخار وتراكم رأس المــــال ، وهما عماد الاستثمار الإنتاجى ، ولا يزدهر فيها — خارج القطاع العام — إلا الاستثمار التجارى والطفيلى ، أو استثمار الوسطاء الذين لا يضيفون للثروة القومية شيئا ، وإنما ينقلون مال الأمة من جيوب إلى جيوب ، بل ومنهم من ينقل مال الأمة من جيوب مصرية إلى جيوب غير مصرية . بسلع الترف التى يستوردونها بالمشروع وبغير المشروع من الطرق .

ولست أظن أنه يقربنا كثيرا من مفهوم التقدم الحضارى أن نرى قصور سادتنا — وما أكثرها — تزخر بكل كمالى مستورد من ثمين

التحف والسجاجيد الشنوا ، إلى عطور فرنسا وخمور انجلترا وثلاجات أمريكا . أو أن نرى عشرات الآلاف من بسطاء أهل المدينة — رجالا ونساء — يتسابقون وراء الملبس والمأكل الوارد من الخارج بالحلال أو بالحرام ، لست أظن ذلك ؛ لأننا جميعا نعلم أن كل زجاجة « ويسكى » تشرب فى مصر تساوى عرق فلاح مصرى مدة شهرين ، أو نفقات تعليم ابنه سنة كاملة . وأصغر زجاجة عطر مستورد تساوى قطعة غيار لتاكسى معطل ، أو لآلة معطلة ، وكل علبة سجاير « كنت » تساوى أجر عامل فى يوم كامل .

وأنا لا أقصد بهذا الكلام أننى عدو للمتعة أو السعادة . . . وإنما أقصد أن تكون هناك أولويات ، ليس فقط للاستيراد والتصدير ، ولكن أيضا للإنتاج . وللاستهلاك ، وللتبادل التجارى . أساسها أن نتحمل اليوم لنرتاح غداً ، وأن يستهلك المصريون قبل سواهم ما أنتجوا من خيرات ، قبل أن يستهلكه غيرهم من الأمم . بعد أن تستوفى مصر حاجتها من أدوات الإنتاج الأجنبية والخبرة الأجنبية المتقدمة ، فما عرفنا للأمم الفقيرة طريقا للخروج من فقرها إلا بالتقشف المؤقت . وبزيادة الإنتاج ، ولكن بشرط أن يعود على الناس فائض ما أنتجوا ، فلا يتحولون إلى ثيران السواقى الدائرة أبداً فى فراغ .

وفى مجتمع نصف اقتصاده حر ، ونصف اقتصاده موجه : لن تجدى زيادة الحواجز الجمركية ، أو زيادة الضرائب إلا زيادة الوسطاء والمضاربين ، وزيادة السوق السوداء .

وإنما الحل هو منع التداول جملة وفعلا — لا على الورق — لكل ما يستنزف مال الأمة فيما لا يزيد الإنتاج أو يرقيه ، وفيما لا يزيد

الخدمات العامة أو رقيها . . وإلا فسوف تبلغ الأمة أواخر عهد إسماعيل حين استنفد إسماعيل قدرته على عقد قروض الدولة لشق الترع وحفر قناة السويس ومد السكك الحديدية . . . الخ .حتى اضطر أن يرهن أملاك الدومين(١) للبيوت المالية الأجنبية ، ثم يبيع حصة مصر فى مشروع قناة السويس وهو نحو ٥٠٪ ثم يرهن أملاك الأسرة الخديوية ، وقد كانت خمس المساحة المنزرعة ، ثم يرهن إيرادات الجمارك والسكك الحديدية ، ثم يفتح البلاد لشذاذ الآفاق .

سيارات الحكومة :

نشرت الأخبار فى ٢٢-٦-١٩٧٦ فى كلمة هذه العبارات :

« أول قرار أصدرته ثورة ٢٢ يوليو سنة ١٩٥٢ كان يقضى بمنع الوزراء من استخدام سيارات الحكومة ، وكان موضوع السيارات الحكومية مثار ضجة عالية قبل الثورة . . وقدم أحد النواب استجوابا اتهم فيه الحكومة القائمة يومذاك بالإسراف فى استخدام السيارات الحكومية وقال : إن عدد هذه السيارات بلغ أكثر من ستمائة سيارة ، وهذا إسراف وتبذير فى مال الشعب .

فلما قامت الثورة أرادت أن تحسم الموقف ، وبدأت بالوزراء فحرمت عليهم استخدام السيارات الحكومية . ومضت شهور أو أيام وعاد الوزراء إلى استخدام السيارات الحكومية ، وفتح الباب على مصراعيه ، وأصبحت السيارات الحكومية مظهر وجاهة وفخامة ، ولاستكمالا للوجاهة والفخامة والتسيب رفعت منها الأرقام الحكومية . ووضعت عليها أرقام ملاكى .

---

(١) الدومين : مصلحة الأملاك الأميرية .

وبعد النكسة وصدور بيان مارس أجرى إحصاء عن السيارات الحكومية واستخدامها فتبين أن أحد مراكز القوى عنده ست عشرة سيارة حكومية ، وكلها من أفخر وأحدث طراز ، وتبين أن آخر عنده ١٣ سيارة ، وكان المتوسط بالنسبة للباقين ثمانى سيارات ، وتبين فى الجملة أن عدد السيارات الحكومية ، إلى جانب سيارات القطاع العام ، يمثل نصف السيارات التى تسير فى شوارع القاهرة ، ومع هذا فقد ألقى ذلك الإحصاء فى سلة المهملات ، وبقيت الحال على ماهى عليه . ولقد اضطرتنا النكسة إلى الرضا بالقليل حتى فى الغذاء والكساء إلا السيارات الحكومية فإنها بقيت موضع إسراف بدون حساب .

وكان هنالك سبع عشرة سيارة مخصصة لخدمة حرم الرئيس جمال فلما تناولتها الصحف غضبت وردت بعضها(١) .

« ولقد قررت القواعد الجديدة تخصيص سيارة واحدة للوزير أو المحافظ . ومعنى هذا أن الوزير أو المحافظ كان من حقه أن يستخدم أكثر من سيارة ، ولا ندرك لماذا ؟ ولا يمكن أن نقول : إنها مصلحة العمل ، لأن القواعد الجديدة لابد أن تكون قد راعت مصلحة العمل أولا .

« ويمكن أن تتحول سيارات الحكومة إلى سيارات لنقل الموظفين نظير أجر معلوم ، ولا بأس أن يدخل فى ذلك كبار الموظفين وصغارهم وهم باشتراكاتهم سوف يغطون نفقات تشغيل هذه السيارات(٢) » .

القطاع العام والحرفيون :

قال الأستاذ أحمد أبو الفتح(٣) :

« إن الحرفيين من نجارين وصناع أحذية وحدادين ، حتى المقاولين ،

---

(١) أقول للسلطان ص ٧٦ (٢) روز اليوسف ٧-٢-١٩٧٧ .

(٣) أخبار اليوم فى ٢٢-٣-١٩٧٥ .

يخضعون خضوعا رهيبا لسيطرة القطاع العام ، فكل صاحب حرفة لا يستطيع ممارسة حرفته إلا ارتكازاً على القطاع العام ، لأنه هو الذى يستورد ويبيع كل ما يلزم الحرفى أو المقاول من مواد تلزم له فى القيام بعمله . وهذا قد أدى :

أولا : إلى قيام سوق سوداء رهيبة فى المواد .

ثانيا : إلى فساد فى الجهاز الإدارى الذى يوزع هذه المواد .

ثالثا : إلى تعطل الكثير من أصحاب الحرف والمقاولين عن تنفيذ أعمالهم لعدم قدرتهم على الحصول على ما يلزم التنفيذ من مستلزمات يصنعها أو يستوردها ويتجر فيها القطاع العام .

حتى الفلاح : يخضع لهذا الجهاز الرهيب فى كل ما يلزمه ، وأكثر من ذلك تحدد له الدولة نوع الزراعات ، وتستولى على المحاصيل بالسعر الذى تراه .

وقال مصطفى محمود[1] :

والعجز الاقتصادى ثمرة فلسفة القطاع العام ، بل والسيطرة على الإنتاج تحتاج القمع ، لأنه لاأحد يفرط فيما يمتلكه ، فليست السيطرة على وسائل الإنتاج حلا حتمياً كظاهرة اجتماعية طبعية تحدث ذاتيا .

والعمال فى العالم العربى أحسن مستوى منهم فى العالم الشيوعى ، بل فى العالم الاشتراكى العربى يفر العمال إلى الخليج العربى والسعودية حيث يوجد أنظمة تناهض الاشتراكية .

---

(١) أخبار اليوم فى ٢٩-١-١٩٧٧ .



الفصل الثالث

* الأسباب القديمة .
* هل الاستثمار للمال الأجنبي يحل المشكلة ؟
* الاستيراد بالسعر التشجيعى .
* شعار الرفاهية فى الميثاق .
* التضخم .
* البطالة المقنعة .
* متى بدأت مشكلاتنا .
* من المسئول ؟
* المسئولية الشخصية لعبد الناصر .
* حب السمعة العالمية .
* الإفساد الزراعى فى العهد الناصرى ؟
* ما الحل لأزمتنا الاقتصادية .

عوامل التدهــور الاقتصــادى
فى السياسة الناصرية

هناك عوامل كثيرة نجتزئ منها بالعوامل الرئيسية لـكبار محللى الموقف الاقتصــادى :

الأســباب القديمة :

فى صفحة الرأى للشعب كتب الأستاذ عبد اللطيف عبد الكريم يقول :

فلقد تقلص نصيب الفرد فى مصر من الدخل القومى بل وكاد يتجمد عند نقطة ثابتة ، وأسباب هذا التقلص فى فترة ربع القرن الأخيرة كثيرة ،منها على سبيل المثال ، سوء التخطيط ،واتجاه الإنتاج فى غير قنواته السليمة ، وما فرضته أعباء الزعامة وهوايتها فى امتداد السيطرة وإحكام القبضة ،وما استلزمه ذلك من نفقات أمن ونفقات انتقال وتحرك فى دول وإمارات . .

كذلك كان من جملة الأسباب ما فرضته سياسة رسمت خارج البلاد كبدت الخزانة العامة أعباء مضاعفة ، وظهور صور كاريكاتيرية لاقتصاد مصرى موجه اعتمد على شكل متطرف من أشكال الحقد الشخصى ، أو النهب من خلف الستائر والجدران ، حيث تركز الدخل فى أيدى فئة قليلة من المواطنين أريد لها أن تثرى وأن ترضى ، لأن سخطها يشكل نوعاً من الخطر على الذين أتوا بها . .

وساعد على ذلك تحول الدولة إلى مالك حقيقى للنشاط الاقتصادى.

كذلك كان من الأسباب انحراف الاستثمار عن أشكاله المنتجة خوفاً من المصادرة والحراسة والتأميم وزوار الفجر ، وما كان من نمو المخصصات الاستهلاكية ، والاعتماد على الادخار الإجبارى الذى هو ابن طبيعى للقهر وجبروت السلطة ، بدلا من الاعتماد على الادخار الاختيارى .

ثم ما كان من الاقتراض من البنك المركزى بالشكل الذى أنتج التضخم والغلاء وجعل النقود عاجزة تماماً عن تأدية وظائفها. وقد جعلنا هذا أمام اقتصاد غير متوازن : الاستهلاك أكثر من الإنتاج ، والاستيراد أكثر من التصدير ، والإنفاق فى ميزانية الدولة أكثر من الإيراد . والمعادلة على هذا النحو لا يمكن أن تستمر .

هل الاستثمار للمال الأجنبي يحل المشكلة ؟ :

يقول د. لويس عوض(١) : « لست أظن أن هجرة رءوس الأموال الأجنبية لإنشاء الفنادق أو أعمال السياحة أو المتاجر أو المطاعم أو الملاهى أو وسائل النقل أو التوكيلات سيؤدى إلى تعمير مصر حضاريا .

---

(١) روز اليوسف ٧-٢-١٩٧٧ .

فهذه كلها خدمات استهلاكية لا تزيد إنتاجية البلاد فى شىء كثير . ثم إنها لن تعجز عشرات الآلاف من الممولين المصريين الذين يكنزون عشرات الملايين من الجنيهات أو مئاتها فى صورة سبائك أو تحت البلاط خشية وقوعها فى يد الدولة .

وفى تقديرى أن أنسب صورة للاستفادة من الأرصدة الضخمة المعطلة عن الاستثمار هى استقدامها كقروض للدولة طويلة الآجال ، مضمونة بنجاح الاستثمارات نفسها ، وبهذا توجه الدولة هذه القروض الاستثمارية وفقا لخطتها فى الإنتاج ، فنحن لا نريد قدوم رأس المـال الطفيلى ، ورأس المـال الخطاف ، ورأس المـال السريع الدورة والعائد . هذا النوع من رأس المال الذى لا يبنى المجتمع الإنتاجى ، ولكن يبنى المجتمع الاستهلاكى ، ويدخلنا أكثر وأكثر فيما يسمى بدورة التضخم الحلزونية » .

وقبل أن نفكر فى الاستثمارات العربية أو الأجنبية . أليس من حقنا أن نقول لإخواننا العرب : لقد كانت خسائر الوحدة مع سوريا ، وخسائر حرب اليمن ، وخسائر حرب ١٩٥٦ أخطاء مصرية ، أو ضرورات مصرية بحته . ويجب أن تتحمل مصر وحدها أوزارها ، ولكن فيم كانت حروب ١٩٤٨ و ١٩٦٧ و ١٩٧٣ ؟ أو ليس من العدل أن تشارك مصر بقية الدول العربية فى دفع فاتورة حروب فلسطين من ١٩٤٨ إلى سنة ١٩٧٣ وما بعدها . . كل منها بحسب دخلها القومى بحساب الفرد الواحد[١] .

---

(١) الحق أن المملكة السعودية وملكها الراحل سبقا الكاتب إلى ما يدعو إليه فجزاهما الله خير الجزاء .

نفس الكلام يوجه إلى أصدقائنا السوفييت . ألم يكن دفاعنا عن الأمن العربى . واستبسالنا على مدى عشرين عاما حتّى لا تقع مصر فريسة لحلف الإطلنطى أو أى حلف استعمارى آخر ، عاملا أساسيا فى حماية الأمن السوفييتى ؟

نحن نعترف بأننا لم نشتر منكم الأسلحة ببلايين الجنيهات لندافع عن أمنكم ، وإنما فعلنا كل ذلك دفاعا عن أمتنا ، ولكن مادام أمنكم يتوقف على أمننا ، فقد وجب أن تتقاسموا معنا نفقات الدفاع عن الأمن المصرى والأمن العربى مناصفة ، وأن تعطونا مخالصة بنصف ما علينا من كمبيالات السلاح ، أو أن تشحنوا لنا بقيمته المصانع والآلات .

أما فاتورة أمريكا . فلا يكفى فيها رصيد القمح الأمريكى . وأقل بند فى هذه الفاتورة هو نصف ما تكبدناه من خسائر حتّى لا تقع مصر فى قبضة السوفييت ، ثم تعويضاتنا لدى إسرائيل .

إن للمصريين زمامات طائلة ينبغى أن يحصلها المصريون قبل أن يرهنوا أرضهم وعملهم ومرافقهم ومكاسبهم لرأس المال الوافد من الخارج .

ولكن هذا الكلام الحلو يتوقف على رضا وقبول ورغبة أصحاب رءوس الأموال . بل وبصراحة على الثقة فى نظام الحكم والاطمئنان إلى استقراره ، واستشعار أصحاب المال ذلك .

والأستاذ محمود المراغى يقول[1] : « وقد لجأت الدولة فى الأعوام

---

(١) روز اليوسف، ٧-٢-١٩٧٧ .

الثلاثة الأخيرة إلى الاعتماد المتزايد على الخارج بالاقتراض ، أو بطلب العون : أو بفتح الباب للاستثمار ، لكن ذلك لم يكن أفضل الحلول .

فالاقتراض مثلا – حتى لو توافر – فهو يعنى تحميل الأجيال القادمة عبء ما نستدينه .

والاستثمار الأجنبي – حتى لو توافر بالحجم المطلوب ، فإنه – لكى يكون كافيا لسد العجز – يخشى منه على الاستقلال الاقتصادى ، ولنتصور أن استثمارات قد غطت العجز فأين يوجد بعد ذلك مركز الثقل فى الاقتصاد ؟ أللقطاع المصرى . أم للقطاع الأجنبي » ؟ .

وهل يمكن أن نشترط على المستثمرين الأجانب حين يبنون عشرات الفنادق السياحية التى تؤجر فى مصر بأرخص من أى بلد آخر عربى أو غير عربى–هل يشترط عليهم أن يبنوا مساكن شعبية ومتوسطة بمقدار خمسين فى المائة مما يستثمرونه فى الفنادق ؟ .. وهل يمكن أن يشترط عليهم بناء مساكن للموظفين والعمال الذين يعملون فى هذه الفنادق .. حتى يصير الاستثمار لفائدة المستثمر وفائدة البلاد معاً .. أم أن مصر ستكون بقرة حلوبا للآخرين بلا ثمن إلا ما يستبقى به رمق الحياة للبقرة حتى يستمر حلابها ؟

الاستيراد بالسعر التشجيعى :

قال المراغى : إن أهم القرارات التى يمكن أن تؤثر على الأسعار هى الاستيراد بالسعر التشجيعى للعملة ، ولكل الواردات فيما عدا عدد محدود من السلع كالقمح ، ومعنى القرار : زيادة فى أسعار الشراء من الخارج قدرها (٥٧٨) مليون جنيه سوف يتحملها المستهلك مباشرة أو المستهلك من خلال أجهزة الإنتاج التى ستزيد تكلفتها ، وهو مبلغ يزيد على ضعفى ما كان مقترحا رفعه من الدعم ، كما أنه يكاد يوازى

عشرة أضعاف ما سوف يزيد كرسوم جمركية ورسوم إنتاج واستهلاك

شعار الرفاهية فى الميثــاق :

قال د. لويس عوض : التف أصحاب الاقتصاد التقليدى حول الثورة وأقنعوها بأن مجتمع التقشف قاس على الناس ولا لزوم له ، وأن نمو المجتمع الاستهلاكى يحفز نمو المجتمع الإنتاجى .

وهو رأى صحيح ولـكن بعد أن يكدس الاستثمار العام والخاص شحما كافيا كسنام الجمل يواجه به المصابين العجاف ، فرفعوا شعار أننا لن نشقى لنسعد الأجيال القادمة .

وهو منطق لو أخذ به أبطالنا فى سيناء لمـــا شربوا كأس المنية راضين ، ليؤمنوا لبنينا حرية الوطن وشرف الأحرار .

وآخرون أرهقوا الناس بالمصادرات والحراسات والاعتقالات خارج ما رسم القانون حتى جعلوا الناس يقبلون على تبديد أموالهم فيما لا يجدى من الكماليات ، أو يخفون كنوزهم ، أو لا يستثمرونها فى شيء ثابت يمكن أن تقع عليه اليد العاملة ، فلم يجدوا غير استثمار الوسطاء والمضاربين وتجار الخلسة فى سوق الاستهلاك ، مجالا لأموالهم .

ومن الناس من تيسره أموره للاشتغال بالسياسة أو بالسلطة ، ومنهم من اشتغل بالسياسة أو بالسلطة لييسر أموره .

ولم يدرك هؤلاء السادة وأولئك أن تحويل المجتمع المصرى إلى مجتمع استهلاكى أكثر مما كان فى العهد البائد ، وأن اصطياد قروش الملايين من أبناء الطبقات الجديدة الزاحفة من الريف إلى المدينة ، أولا بأول من لعب الحضارة وملذاتها ، قبل أن تصل إلى جيوبهم ، يهدم أسس المجتمع الإنتاجى الذى جاءت الثورة لتبنيه ، وبالتالى يطيح باستقلال مصر الاقتصـــادى .

هذا كان عمل أصحاب الاقتصاد القديم الذين تسلموا إدارة الاقتصاد الجديد ، وهذا كان عمل الطبقة المحدثة التى خلقتها الثورة عبر عشرين عاما . أكلت شحم مصر القليل أولا بأول ، فلما نفد الشحم أخذت تأكل اللحم ، هذا ما فعلته بالإنتاج . أما ما فعلته بالميثاق والاشتراكية فإنى أمسك عن الكلام فيه الآن .

إن ثوراتنا – فيما يبدو – تخاف من نفسها ، فتسلم لأهل القديم مراكز السلطة لتستحدث بهم القيم الجديدة ، وبذلك تعرض نفسها للإجهاض المستمر الذى يحفظ للقديم نضارته وسيادته ، أو لعل ثوراتنا – رغم أنها صادقة فى الثورية – ناقصة فى الوعى ، فهى لا تدرك أن القديم عندنا لا يواجه الجديد مواجهة الرجال ، كما يحدث فى البلاد الأخرى ، ولكنه يلتف حوله فى وداعة ودهاء ، حتى يجرده من شعر شمشون ، ثم يبطش به بطشا ذريعا ، ويعود كل شيء سيرته الأولى . وهذا هو الخطر الذى أردت أن أحذر منه .

التضخم :

تحدث الأستاذ زكى عبد المتعال وزير المالية السابق فى العهد الناصرى عن معوقات الانفتاح فى جلسة الاستماع فقال :

ومعوقات الانفتاح بعضها خارجية لا يد لنا فيها، ومعوقات داخلية بعضها مستمد من المعوقات الخارجية ، وأولها التضخم الفعلى عندنا ، وللأسف لم أجد فى أى بيان رسمى ذكراً للتضخم ، والتضخم عندنا يرجع لعدة أسباب ، ولها دخل فى سد طريق الانفتاح . وأول عامل هو الحروب لأنها تؤدى إلى التضخم ، فالإنفاق العسكرى يبتلع جانبا من الناتج القومى ويؤدى إلى مديونيات .

---

(١) الأهرام فى ٢٦–١٠–١٩٧٥ .

ومن الأسباب الأخرى المؤدية إلى التضخم ارتفاع أسعار المواد الأولية المستوردة من الخارج ، وهذا يؤثر علينا ويؤدى إلى عجز فى الميزان التجارى .

ومن الأسباب قصور الإنتاج المحلى الذى هبط كماً وكيفا .

البطالة المقنعة :

ثم قال الوزير : « وإلحاق كل خريج بعمل ، وحيث لا عمل ، هذه السياسة ظاهرها عمالة كاملة ، وهى بطالة مقنعة ، والمرتبات عبارة عن إعانة ، والمستثمر الأجنبي لا نستطيع إجباره على هذا ، أو على أسلوب عدم فصل العامل .

قال الرئيس السادات فى الحلقة الثانية من حديثه للإذاعى محمد على الشناوى نائب مدير إذاعة الشعب : إن مشاكلنا لم تتراكم فى سنوات الصمود ، ولكنها تراكمت منذ عام ١٩٦٢ . وهذا هو سبب الاختناقات التى نعانى منها الآن . منذ سنة ١٩٦٢ ونحن نرحل مشكلاتنا فى المرافق مثلا .

نمط الحيـــاة :

وينسى الكتاب أن نمط الحياة المستهدف للرفاهية وتقليد الغرب الذى سخرت له وسائل الإعلام ، هو أول العوامل وليس الحرب كما قال الوزير .

متى بدأت مشكلاتنا ؟

فى حديث للرئيس السادات يقول :

البناء الأساسى للدولة (الانفرستركشن) الذى يطلق على المواصلات والإسكان والمياه والتليفونات والنور . شبكة المياه محتاجة لتغييرها منذ عشرين سنة . وكان لازم نبتدى فيها فى سنة ٦٢ فكنا نرحل ما نعانيه

اليوم ، وشبكة التليفونات نفس الشيء . والكهربا نفس الشيء — معدلات التنمية فى شتى النواحى : الإسكان وغيرها رحلت من سنة ٦٢ إلى أن ابتدأنا بعد سنة ١٩٧٣ نعيد البناء مرة أخرى . . هذا هو سبب الاختناقات التى نعيشها[١].

• • •

(١) الأهرام فى ٢٦-١٠-١٩٧٥ .

من المسئول ؟

هل كان للثورة عــذر :

تناول الدكتور يوسف السباعى[1] هذا بالتحليل فقال ما نصه :

« وبدأت ثورة ١٩٥٢ بقيادات جديدة استطاعت أن تغير من شكل المجتمع كله ، ولـكن كان لهـا من السلبيات ما أدى إلى نكسة ١٩٦٧ وما فرض تصحيحا جديدا فى ١٥ مايو .

ومن غير شك أن قيادات ما بعد ١٩٥٢ كان لهـا فرصة الحركة الداخلية المطلقة فى إعادة تشكيل المجتمع . . لم يشغل خطاها عجز ذاتى ولا عراقيل مضادة فى الداخل ، وكان الفعل دائماً بغير رد فعل إيجابى قادر على وقف الفعل أو إضعافه أو تغيير اتجاهه .

ومن أجل هذا سارت الإيجابيات إلى مداها بغير عرقلة ، والسلبيات إلى أبعد من مداها بغير حد ولا نقد ولا معارضة ، بل بدفعات مؤيدة من النفاق أو الخوف ، فكانت السيطرة القيادية المطلقة التى تضم جوانحها كل السلطات والقيادات ، قادرة على إبراز الحسنات وستر السيئات ، بل وإلباسها أحيانا ثوب الحسنات .

المسئولية الشخصية لعبد الناصر :

وقال السيد ذو الفقار على بوتو رئيس وزراء باكستان فى تحقيق لأخبار اليوم فى ٦-٣-١٩٧٦ ما نصه :

---

(١) الأهرام فى ٦-١٢-١٩٧٦ .

« لقد كان عبد الناصر يتولى بنفسه كثيراً من المسئوليات والأعمال[1] ، ولا تصيب أحكام المرء دائماً فيما لو وضع نفسه فى مثل هذا الموقف ومع هذا فقد عمل الكثير من أجل مصر .

التعامل السياسى لابد أن يسبقه رؤية مكتملة ، وكل تحرك لابد أن يكون وفق مخطط أكبر ، أما إذا أصبح تصرف المرء مجرد رد فعل للأحداث ، وبغير مفاهيم سياسية ، فإن السياسة عندئذ تصبح عشوائية وأشبه ما تكون بالرقع ، ولا تؤدى إلا لمجموعة من المتناقضات ، وتنتهى إلى فقد الثقة وإلى حالة تشويش .

درست أخطاء ناصر وأهمها أنه قد سار بخطى سريعة أسرع من اللازم فى القطاع الصناعى بالتحديد . خصوصا بالنسبة للاستثمارات الأجنبية . لم تكن فى البلاد — أى فى مصر — قاعدة اشتراكية عريضة . وفى اللحظة التى وضع يده فيها على رأس المـــال الأجنبى جفت الاستثمارات فى مصر . ولكن لابد أن نقرر أن التناول الاقتصادى كان جديداً عليه ، كان لديه مفهومه للمساواة ، وكان يحاول أن يجعل منه حقيقة واقعة ، ولكن تسرعه جعل الاقتصاد المصرى يعانى الكثير من جراء ذلك .

وفى يوم سألت عبد الناصر : لمـــاذا لم تسمح لبعض رجال الصناعة من الوطنيين أن يقيموا صناعات من الحجم المحدود أو المتوسط ؟

قال لى : جمعتهم وقلت لهم : إنه يريد أن يستثمروا أموالهم وخبراتهم فى تصنيع مصر ولكنهم لم يصدقونى ثم بدأوا فى تسريب أموالهم إلى الخـــارج .

---

(١) وللرئيس السادات تصريحات بهذه الحقيقة سبق بها على بوتو .

لو كان ناصر قد بدأ أولا بإنشاء كادرات ديمقراطية لما هاجرت كل تلك الكفاءات التى كانت لديكم . ولكنه فى تسرعه لم يهتم بذلك .

حب السمعة العالمية :

ولـكن الجانب النفسى فى شخصية عبد الناصر ومن ارتضى اتجاهه كان مع بدء هذه المشكلة إذ يقول نجيب محفوظ[1] :

« ذلك الطموح (الشريف) إلى العالمية لعب فى حياتنا السياسية دوراً مأساوياً ، ففى فترات معروفة من تاريخنا الحديث تعجلنا الزعامة ، وحملنا أنفسنا ما لا طاقة لها به من المسئوليات التى تنوء بها الدول العظمى ، حتى أثرنا الرعب فيمن حولنا ، وتحدينا قوى لا قبل لنا بها ، وتعرضنا لضربات قاصمة أهدرت الأرواح والأموال ، ولو كنا رسمنا لأنفسنا خطة تناسب حجمنا وإمكانياتنا لتوجه ذلك الجهد الهائل للبناء والتعمير ، فى الزراعة والصناعة والتعليم والثقافة ، ولارتقينا بالقرية والفلاح إلى المستوى الذى يتمناه كل مواطن أمين .

كان من الحقائق التى كشف عنها الدكتور « ليستر براون » عالم الاقتصاد الزراعى أن نقص المواد الغذائية فى بعض البلاد الفقيرة مثل الهند وبنجلاديش قد أدى إلى زيادة معدل الوفيات . . وهو أمر مؤسف للغاية أن يموت الإنسان جوعا فى هذا العصر .

هذا مع ما عرف عن الهنود من التقدم فى الأبحاث الرياضية وتوفيقهم فى تفجير القنبلة الذرية . ألم يكن الأجدر بهم أن يستثمروا مواهبهم فى الزراعة والأغذية ؟

---

(١) الأهرام فى ٢٧-١٢-١٩٧٦ .

من ذلك الطموح أننا فى الوقت الذى لا نوفر للبحث العلمى كافة احتياجاته ننفق الملايين لإدخال التليفزيون الملون ، أو ندعو لإنفاق ملايين أخرى لإنشاء دار للأوبرا .

ومنه أننا ننفق الآلاف كل عام للاشتراك فى المهرجانات السينمائية ونضن فى الوقت نفسه بتخصيص ميزانية من مال الدولة لإخراج فيلم مالى ، مما يعجز عنه القطاع الخاص .

ومنه أننا نسافر إلى باريس لتمثيل مسرحية فرنسية فى وقت كان المسرح الجاد يكاد أن يلفظ أنفاسه ، ومنه أننا نشغل أنفسنا بمواصفات الأدب العالمى وماذا يحول بيننا وبينه ، فى الوقت الذى لا يجد فيه الأديب الناشىء مجالا لنشر إنتاجه . ولعل عندك من الأمثلة أضعاف ما عندى .

وليس عيبا أن نكون أمة صغيرة بالقياس إلى العمالقة ، ولكن العيب أن تقودنا أحلام اليقظة إلى تصور أننا من العمالقة ، وأن نقلد العمالقة ، متناسين فلاحنا المريض ، ومواطننا الأمى ، وأراضينا البور . علينا أن نستكمل ما ينقصنا أولا ، وعند ذلك تتهيأ لنا الفرص للمشاركة العالمية مثل السويد والدنيمارك وسويسرا وغيرها .

وينكر الرئيس السادات هذا الأسلوب فى السياسة فيقول عن أنصاره : « وكانوا يجهلون أنى لا يهمنى أن أبنى نفسى فى الخارج (١) » .

• • •

(١) البحث عن الذات ص ٢٨٨

الإفساد الزراعي فى العهد الناصرى

قال الرئيس السادات فى لقائه مع نقابة عمال النقل البرى يوم ١٨-٦-١٩٧٧ : « قد أهملت زراعتنا حقاً . وقد كان ذلك خطأ كبيرا ، لأن اقتصادنا الأساسي سوف يعتمد – ولخمسين سنة قادمة – على الزراعة . . لقد أهملنا ذلك . وحتى الآن فإننا نستخدم وسائل قديمة بعضها ورثناه عن الفراعنة .

والرى على سبيل المثال – لا أحد يتصور أننا نروى كل فدان بأكثر من سبعة آلاف متر مكعب من المياه . إن التكنولوجيا الحديثة – عن طريق المطر الصناعى – أو الرش – سوف تقلل ذلك إلى ما لا يزيد عن ألف أو ألفى متر مكعب ، وهذا يعنى أننى سوف أستطيع أن أدخر أكثر من ثلثى المياه التى أستخدمها الآن .

لقد كان فى سيناء فرع للنيل – قبل حفر قناة السويس – اسمه « فرع بالوظة » – سميت باسمه قرية « بالوظة » وهى فى منطقة « وادى الطمى » الذى مساحته (٣٠٠ ألف) فدان صالحة للزراعة تراه فى الطائرة يطفو بالطمى على السطح بجوار الرمل .

وقد اكتشف أحد مهندسينا بالصحراء الغربية – قرب الدلتا – ماء يكفى لزراعة مائتى ألف فدان . وهذا إقليم جديد يوسع الرقعة الزراعية .

كما قال فى لقائه بأبناء القناة : لقد ارتكبنا خطأ تاريخيا بإهمالنا الزراعة ونحن نبنى الصناعة .

تفتيت الحيـــازات الزراعية :

وقال وزير الزراعة المهندس « إبراهيم شكرى » فى بيانه أمام مجلس الشعب : لقد تبعثرت الحيازات الزراعية مما دفع الدولة إلى تنفيذ مشروع تجميع الإنتاج الزراعى فى وحدات زراعية متصلة ، ولم ينجح المشروع لأن المحاصيل المجمعة تتفاوت فى مواعيد زراعتها . الأمر الذى يهدر نظرية التجمع .

التوسع العمرانى والتجريف :

وقالت اللجنة الزراعية : إن عملية التوسع العمرانى لا تزال تمتد على الرقعة الزراعية . كما أن عملية التجريف مازالت تتسع آفاقها بعد ، مما ينجم عنه أن تفقد بلادنا جزءاً من أعز ما تملكه من الموارد ، وهى أرضها الخصبة التى تتآكل سنة بعد أخرى .

الســـد العـــالى :

لعل أهم وأعظم منجزات الثورة هو بناء السد العالى فهل أحسنت السياسة الناصرية الانتفاع بالمشروع . أم أنها خربت ميزانيتنا من أجله ، وجرت علينا حروبا واحتلالا كبدنا خسائر فى الأرواح والأموال أدت إلى اختلال موازنة الميزانية ، واضطرتنا إلى مد أيدينا لمن لا يساوى عند الله جناح بعوضة ، ثم لم تقم الدراسات العلمية الكافية للانتفاع بالمشروع مع التخلص من الأضرار ، أترك للمتخصصين الحديث فى هذا المجال فماذا يقول وزير الرى السابق[1]؟

---

(١) البحاثة المتخصص عبد الخالق الشناوى فى تحقيق لمجلة الإذاعة والتليفزيون آخر ديسمبر ١٩٧٥ .

ميـــاه السد العـــالى :

مجموع المياه الواردة من روافد النيل	:	٨٤	مليار	متر مكعب
تستنفذ منه مصر والسودان	:	٥٢	»	»
الباقى الذى يضيع فى البحر الأبيض	:	٣٢	»	»
ما استفادت به مصر من السد	:	٧	»	»
ما استفادت به جمهورية السودان	:	١٤	»	»
ما يتبخر نتيجة التخزين فى البحيرة	:	١٠	»	»

هذا وتستفيد مصر ٨ مليار كيلووات كهربا فى السنة .

الطمى :

بالطمى مواد لم يصل إليها التحليل العلمى ولـكن نلاحظ أثره فى المحصول الزراعى :

فالأرز مثلا : خف وزنه فأصبح وزن الضريبة ١٣,٥ جوالا ، ومن قبل كان ١١ جوالا . . والفرق نشويات فقدتها مصر .

والقطن : خف وزنه وضعفت تيلته كما تثبت ذلك إحصائيات التصدير التى تثبت أنه تدهور إلى النصف .

قصب السكر : كان إنتاج الفدان فى كوم امبو ٤٥ طنا فانحدر الإنتاج إلى ٣٥ طناً ، ثم إلى : ٣٠ طناً ، ثم إلى ٢٥ طناً .

الموز : نفس المقياس فى الانحدار : نوعا ، وكما ، وكيفا .

المـادة الجيلاتينية : بعد احتجاب الطمى أخذت تضيق المسام حتى أصبح من الملاحظ أن الأرض لا تتشرب المياه بسرعة .

وقد شكا وزير الرى الأسبق (٦٥–١٩٦٨) المهندس عبد الخالق الشناوى إلى جمال عبد الناصر الخطر ، طالبا القيام بأبحاث لتمرير الطمى من السد ، وهى لا تستغرق أكثر من عامين ، فهز كتفيه ، ومات الموضوع لتموت مصر .

إن ما يزرع فى أمريكا بدون طمى يعتمد على راحة الأرض المنزرعة سنتين ، بينما المنزرع ٥,٥ مليون فدان ، تزرع أحيانا ثلاث مرات فى السنة ، وهى هى التى تزرع منذ عهد مينا . وكان الواجب التوسع فى الأراضى المنزرعة قديما بتوفير المياه ذات الطمى لها .

فلقد كان النيل ينتشر بمائه وطميه فوق أرض الوادى الجديد ، وقبل حفر قناة السويس بزمن طويل — كانت الترع المتفرعة من النيل تفترش أرض سيناء بالمـــاء ، وكانت تروى حقولها المزروعة ، والتى تظهر آثارها تحت الرمال ، وإن الخرائط القديمة لسيناء تثبت وجود ترع النيل هناك .

وإن طبيعة التربة فى الوادى الجديد وفى بعض أجزاء سينا تربة طفلية طميية .

مشكلة كفاءة التربة :

أثار المهندس عبد العظيم أبو العطا وزير الزراعة والرى مشكلة هامة جداً تهدد حياتنا الزراعية بالخطر ، وهى مشكلة كفاءة التربة التى تعتبر العامل الأساسى فى الإنتاج الزراعى .

قال الوزير[1] : « إن الزراعة فى مصر تعانى من مشكلة زيادة

---

(١) الأخبار ى ٢٠ يونيه ١٩٧٦ .

استخدام مياه الرى ، فإن الإسراف فى استخدام مياه الرى أدى إلى ارتفاع مناسيب المياه الأرضية . وهذا مما يؤدى إلى إضعاف التربة . وإضعاف الإنتاج .

وهذه فى الحقيقة مشكلة خطيرة جداً . ونحن لا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا إنها مشكلة تهدد حياتنا التى تعتمد أساسا على الإنتاج الزراعى .

ولقد كان وجود هذه المشكلة نتيجة لنظام الرى عندنا الذى مازال يعول على تكديس المياه ، لا على سلامة توزيعها .

ولعل أول من فزع لهذه المشكلة هو المرحوم المهندس العالمى عثمان محرم ، إذ أعد منذ ثلث قرن تقريرا حذر فيه من تفاقم هذه المشكلة وخطورتها على إنتاجنا الزراعى ، وقال فى تقريره : إن الفدان فى المنوفية كان يعطى ثمانية بل عشرة قناطير من القطن فأصبح لا يعطى — فى المتوسط — أكثر من أربعة قناطير . وهذا راجع إلى الإسراف فى الرى « بالراحة » وبهذا حبلت الأرض ، أو « طبلت » كما يقولون فى الاصطلاح الزراعى ، وكان من تأثيرها هذا أن ظهر السبخ على وجه الأرض ومن هنا ضعفت التربة وضعف الإنتاج .

وقال عثمان محرم : إن العمل الحاسم لمواجهة هذا الخطر هو إنشاء المصارف على نطاق واسع ، ولكن إنشاء المصارف سيأخذ مساحات كبيرة من الأرض ، وقد يقضى على كثير من الملكيات الصغيرة التى يعيش منها أصحابها وهم عدد غير قليل ، ولهذا يجب أن نعول على الصرف المغطى ، وقد بدأ الرجل فعلا بتجربة الصرف المغطى . وهى تجربة مازلنا نكافح فى سبيلها إلى اليوم .

على أن المشكلة قد أحاطت بها عوامل تجعلها أشد وأمعن فى الخطورة .

وأول هذه العوامل فقدان الطمى الذى كان يعتبر قوة تجدد خصوبة الأرض .

والعامل الثانى هو أننا أصبحنا نزرع الأرض ثلاث زرعات بعد أن كنا نزرعها زرعتين فى العام . ومعنى هذا أننا أصبحنا نعطى الأرض من مياه الرى كميات أكبر ، وهذا هو السبب فى أن استخدام مياه الرى قد زاد حوالى عشرة مليارات متر مكعب سنويا .

ثم هناك عامل ثالث لم يدخل فى حسابنا مع أنه عامل له أهميته الكبيرة سواء بالنسبة للحد من الإسراف فى استخدام مياه الرى . أو بالنسبة لامتصاص المناسيب المرتفعة فى باطن الأرض . ونعنى بذلك تلك السواقى الارتوازية أو التى كانوا يسمونها « بالمعين » ، فقد كانت هذه السواقى منتشرة على امتداد الأرض الزراعية فى مصر وتستخدم خلال الفترة التى يسمونها « فترة التحاريق » ، والمياه فى هذه السواقى كانت تتجمع من باطن الأرض ، أى أنها كانت بمثابة عامل طبيعى لامتصاص المناسيب أو الرطوبة من باطن الأرض ، ولكن هذه السواقى تعطلت تماما ، وكان من الواجب أن يحرص المسئولون عن نظام الرى على بقائها وتطويرها بما يتمشى مع التطور الآلى الحديث .

ونعتقد أنه ليس هناك أخطر من مشكلة تهدد إنتاجنا الزراعى بالنقص إلى حد النصف .

وإذا فقدت التربة الزراعية عندنا كفاءتها فلن يعوضنا عنها ذلك التوسع الأفقى فى استصلاح الأراضى ، ولا ما نبذله فى سبيل تنويع المحاصيل وزيادة الزراعات على مدار العام .

لابد أن نعود إلى نظامنا القديم فى امتصاص المياه الجوفية بالسواقى أو بوسائل بديلة للسواقى ، ويجب أن نعيد النظر فى نظام الرى عندنا ، وأن نقيمه على أساس سلامة توزيع المياه ، لا على أساس تكديس المياه فى باطن الأرض .

إن عندنا مناطق غارقة فى مياه الرى ، ومناطق تشكو قلة مياه الرى ، لأن الذين عند أبواب الترع يأخذون أكثر من حاجتهم ، والذين فى نهاية الترع لا يجدون حاجتهم .

تآكل الجسور :

ونتيجة لكثرة المياه خلف السد العالى واندفاعها بقوة زاد نحت قاع النهر وجوانبه مما جعل مصر مضطرة إلى تغيير جميع الجسور (الكبارى) فى المستقبل القريب . وهذا كان معروفا قبل البدء فى المشروع . وكان من الممكن التفكير فى حفر قنوات أخرى من البدء بحيث يبقى المجرى القديم بمنسوبه ، ويوجد مجرى جديد يمتص الطاقة الزائدة لرى الصعيد رياً دائما بدلا من رى الحياض ، كما كان يمكن دراسة مشروع تذويب الطمى أيضا بحيث لا يترسب خلف السد ، فإن من أهم عوامل نحت القاع وجدارى النهر خلو المياه من الطمى ، الذى نحتاجه لخصب الأراضى ، كما نحتاجه لحماية النيل من النحت

أو النحر . كما نحتاجه لثروة مصر السمكية من السردين عند مصبي النيل .

وفى هذا العام (١٩٧٧) أرسل السادات لجنة فنية إلى روسيا لدراسة الحلول اللازمة لصيانة الجسور ، كما أمر باستقصاء الخبرات الفنية لدى الغرب كذلك لإنقاذ مصر من جرح أوقعها فيه سلفه بسياسته الخاصة . جرح لو لم تتداركه مصر فوراً لتحول النيل والسد العالى إلى كارثة كسد مأرب .

وفى منتصف ١٩٧٨ نشرت الصحف إنذاراً بتساقط البيوت والمبانى نتيجة لزيادة منسوب المياه الجوفية الطارئة بعد السد العالى . . مع عدم اتباع ما يلزم لخفض هذا المنسوب .

وقد كان هذا من أهم عوامل سقوط كثير من الأبنية حتى أصبح ما يسقط من المنازل فى مدينة القاهرة بمعدل منزل فى كل يوم .

• • •

ما الحــل لأزمتنا الاقتصــادية ؟

« وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا
مترفيها ففسقوا فيها فحق عليهـا
القول فدمرناها تدميرا » .
الإسراء

خفض الاستهلاك :

يقول محمود المراغى : « إن شعار خفض الاستهلاك وحده لا يفيد وإن كان لابد منه ، لـكننا لابد أن نحدد : استهلاك من ؟ وأى الشرائح ؟

وهنا تطرح قضية الأولويات ، وتطرح قضية سد العجز ، ابتداء بالاستهلاك الترفى ، أو الذى يعد كذلك فى ظروف مجتمعنا .

إن هناك استهلاكا لا يقدر عليه كل المجتمع ، ويتم توافره عن طريق ما يسمى بالاستيراد بدون تحويل عملة ، أو يتم توافره عن طريق الاستيراد الرسمى للقطاع العام ، الذى دخل أخيراً حلبة المنافسة فى استيراد الكماليــات .

وأعتقد أنه لا مفر من الوقوف عند الأساسيات ليصبح نمط الاستهلاك القومى كله ــ عاما وخاصا ــ نمطا متقشفا يتمشى مع إمكانياتنا الحقيقية .

وهنا أود أن أقول : إن سياسة رفع الرسوم الجمركية ، وبالتالى زيادة تكلفة السلع المستوردة لا تغير كثيرا من نمط الاستهلاك ، بل إنها قد تفاقم الموقف . صحيح أنها تبدو — وللوهلة الأولى — وسيلة لسحب النقود من أيدى الأفراد ، ووسيلة للحد من استهلاكهم لكن الأمر ليس كذلك باستمرار .

إن مستهلكى السلع الترفيهية — فى معظمهم — من ذوى الأعمال والمهن الحرة ، وعمليا ، ومع ارتفاع أسعار هذه السلع المستوردة ، فإنه سيخرج من مجال استهلاكها الموظف والعامل ذو الأجر الثابت ، بينما يستمر فى استهلاكها ذوو الدخول المتحركة من أصحاب الأعمال ، ابتداء من الجزار حتى المستثمر فى البورصة ، وسيعوضون جميعا فرق ما يدفعون ، من المستهلك الفقير ، ومن ساكنى العمارة ، ومن كل المتعاملين معهم .

يمكن تدبير عجز العملة الأجنبية إذا تغيرت أنماط استهلاك المجتمع المصرى ، ليس الأغنياء فقط ، ولكن المجتمع كله .

فالطبقة الوسطى لا تتنازل عن اقتناء التليفزيون وجهاز التسجيل والغسالة الكهربائية المستوردة أو المحلية إلا إذا اختفت عناصر البهرجة من المجتمع ، وتوقف الأثرياء عن استيراد سيارات يصل ثمن الواحدة منها إلى خمسة عشر ألف جنيه أو عشرين ألف جنيه .

بهذا المنطق ، منطق المراجعة الكاملة للسياسة الاقتصادية يمكن تدبير العجز وموازنة الأرقام .

قد يقول وزير المالية ، لنأخذ مثالا عمليا . الميزانية العامة للدولة ؟

هل نخفض الأجور . أم المصروفات العامة اللازمة لتشغيل المرافق ؟ أم ميزانية الاستثمار ؟ أم الدفاع ؟

وأقول : كل ذلك جائز فيما عدا ميزانية الأجور ، أما المصروفات العامة فيمكن أن تنخفض . سيارات الحكومة — على سبيل المثال — يمكن أن تتحول إلى سيارات لنقل الموظفين نظير أجر معلوم ، ولا بأس أن يدخل فى ذلك كبار الموظفين وصغارهم ، وهم باشتراكاتهم سوف يغطون نفقات تشغيل هذه السيارات .

ونفقات الدعاية — رغم اختزالها مراراً — يمكن أن تختزل ، فمازلنا لفترة قريبة نرى أموالا عامة تنفق فى الدعاية الانتخابية أو الاستقبالات .

حتى الاستثمار يمكن ضغطه ، فليس كل ما ورد به ضروريا . كالتليفزيون الملون الذى لا يراه فى العادة ، وفى الدول المتقدمة ، أكثر من ١٧٪ من المتفرجين . لمن نصنع ذلك ؟

قال د. جمال العطيفى وزير الإعلام السابق : إن جزءا كبيرا من المشروع سوف يتجه للتصدير .

وأقول : هذا حسن ، فلننتج — بما استوردناه من آلات — أفلاما ملونة للتصدير ، أما نقل نمط الاستهلاك فى الداخل للتليفزيون الملون بما يرتبه ذلك من واردات أكثر ، وتصنيع لوحدات ملونة فذلك مرفوض .

نفس الشىء نقوله بالنسبة لمشروعات الطاقة النووية ، أهميتها لا تنكر ، ولكن .. هل هى أرخص أنواع الطاقة ؟ واستخدام الطاقة

النووية فى العالم لا يتجاوز ٢-٣٪ حتى فى الدول المتقدمة ؟

القضية . ما هو السلوك الاقتصادى السياسى والاجتماعى اللازم فى هذه المرحلة ؟ « والناس عندنا ليسوا فى حاجة إلى الكماليات البراقة المثيرة للتطلعات الذاتية . المفسدة للقيم الأخلاقية ، بقدر ما نحن فى حاجة إلى الضروريات الرئيسية »[1].

تطـــوير الصناعة وحمايتها :

يقول أحمد حمروش : « إن الصناعة الإسرائيلية الحربية قد بلغت درجة من التطور جعلتها قادرة على المنافسة والتصدير أيضا ، ومسئوليتنا أن نطور صناعتنا أيضا ونجعلها قادرة على التصدير ، حماية لميزاننا التجارى من الخلل والانهيار .

ونقصر الاستثمارات الأجنبية على المشروعات الإنتاجية .

وكتب « كابليوك » فى « الموند » عن حل مشكلة إسرائيل الاقتصادية يقول : « فإذا أرادت الحكومة المقبلة أن تتغلب على هذه الأزمة فينبغى أن تتخذ الإجراءات اللازمة لزيادة الإنتاج الخاص بالتصدير ، كما يتعين عليها أن تعدل سياستها الضريبية بأن تعرض ضرائب على (رأس المـــال الأسود) بتقليل التسهيلات المقدمة لرءوس الأموال غير الإنتاجية » .

الاهتمام بالحرف والحرفيين :

يعمل فى نظام الحرفيين فى مصر ٤ ملايين حرفى يبلغ إنتاجهم

(١) روز اليوسف ١٤-٢-٧٧ لأحمد حمروش .

١٦٠ مليون جنيه فى السنة ، وقيمة منتجاتهم فى مجال التصدير أكثر من ٢٠ مليون جنيه سنويا تمثل ٦٪ من إجمالى الصادرات ، وما يقرب من ٤٥٪ من قيمة صادراتنا من السلع غير التقليدية .

ويعتمد نظام الحرفيين — الذى يرجع تاريخه إلى العصر الرومانى والفرعونى — على الصبية لكى يرث الابن مهنة أبيه .

ويتضح من الدراسة أن عندنا ١٢٠ حرفة مفروض أن كل حرفة لها شعبة خاصة فى جهات الصناعات الحرفية ، ورغم ذلك فلا يوجد فى جهاز الحرفيين غير ٩ شعب فقط ، وصدر قانون التأمينات الاجتماعية فى سنة ١٩٥٦ الذى ألزم كل صاحب عمل بدفع رسوم التأمينات عن كل صبى يتعلم المهنة لديهم ، مما دفع معظم أصحاب الحرف إلى طرد أكثر صبيتهم ، وكانت النتيجة هو النقص الخطير للعمال المهرة فى كل أنواع الصناعات .

وجاء فى تقرير من المراقبين فى حى معروف يقول : إنه لوحظ خلال السنوات الأخيرة — وعلى خلاف العادة — انتشار ظاهرة التشرد فى حى عابدين ومعروف . ووجود أعداد هائلة من الصبية فى الشوارع بلا تعليم ولا عمل .

والعـــــلاج :

نشر الخبرات المهنية وتحبيب الشعب فيها عن طريق التلفزيون .
والإكثار من مدارس الصناعة ورفع أجور خريجيها .

دع الناس تربح وتدفع ضرائب :

وقال أبو الفتح : أعلن رئيس الوزراء :

١ — أن الانفتاح ممكن فى الزراعة عن طريق إصلاح الأرض البور .

٢ – إلغاء سيطرة الدولة على التصدير والاستيراد إلا فى بعض المواد المرتبطة بها الدولة نتيجة اتفاقات سابقة .

٣ – رفع السرية المحكمة التى تفرضها الدولة علي ما يدور داخل القطاع العام .

وإذا كنا جادين فى بناء القطاع الخاص وتمكينه من المساهمة الفعالة فى بناء الاقتصاد القوى فلا أقل من تنفيذ الأمور التالية وأسوقها على سبيل المثال لا الحصر .

١ – إلغاء سيطرة الحكومة على التصدير والاستيراد .

٢ – إلغاء سيطرة الحكومة على التجارة الداخلية ، والاعتماد فى مراقبة الأسعار على مفتش وزارة التموين .

٣ – إلغاء مؤسسة السياحة وإطلاق يد الشركات المصرية أوالشركات المشتركة فى كل ما يتعلق ببناء المدن السياحية ، وإقامة وإدارة الفنادق . ولا شك أنه يمكن تحويل القصور الحالية والتى يحتلها الاتحاد الاشتراكى ومنظمات الشباب إلى فنادق تستوعب الضغط الشديد من الزوار حتى يتم إنشاء فنادق جديدة .

وكذلك ضرورة الاستعانة بفندق « هليوبوليس بالاس » .

٤ – تحرير شركات المبانى من ربقة القطاع العام وطرح أسهمها للمصريين لتسهم بصورة فعالة فى التشييد والتعمير .

إنى لأرجو « أن ندع الناس تربح وتدفع ضرائب » كما يقول الرئيس المصرى ، وفى ذلك اليوم تستطيع مصر أن تسير حقاً وفعلا إلى الرخاء .

الطـــاقة البشرية ثروة :

ويقول محمد زكى عبد القادر[1] الثروة البشرية أعظم ثروات مصر . وبها نستطيع أن نطمئن إلى مستقبل بلادنا وإلى قدرتها على اجتياز كل الأزمات : اقتصادية وغير اقتصـــادية .

والثروة يجمعها وينفقها الإنسان ، وليست الآلات والمصانع ورأس المـــال والخامات إلا أدوات مساعدة للجهد البشرى . فهو الأساس الذى ينطلق منه إنشاء الثروة وزيادتها والجهد البشرى هو العمل .

والعمل نوعيات وأقسام . فهناك العمل الممتاز والجيد والمتوسط والردىء . وهناك العمل اليدوى والعمل الذهنى . ولكل قيمته وأثره فى الإنتاج . . وهذه مسلمات ينبغى أن تكون نصب أعيننا ونحن نتعامل مع ما لدينا من ثروة بشرية . فلابد أن نبلغ بها أقصى مانستطيع من جودة وامتياز . من تعليم وتدريب وتشجيع ومكافأة وتهذيب وتكريم وتعظيم ، وعلى قدر نجاحنا فى هذا كله ، يكون تقدمنا وتطورنا ورخاؤنا ، ويكون ما نسعى إليه ونبحث عنه من رفع مستوى المعيشة ، والوفاء بحاجات الشعب ، ونشر المحبة والإخاء بين طوائفه ، وبلوغ ما ننشد من هدوء واستقرار وسلام وأمن .

نحن لسنا فقراء . وما نعانيه من أزمة اقتصادية ليست شيئا مع ما نملك من عقول وسواعد وعزم وتصميم ، وما نملك من تاريخ عريق .

---

(١) الأخبار – نحو النور فى ١٧–٢–٧٧ .

ويكفى أننا هذبنا النهر وبنينا السدود ، والقناطر وشققنا الترع والقنوات ، وروينا الأرض بالعرق والكد ، فأنتجت الخير والنعمة .

وثروتنا البشرية لا تكفى فقط لكى نجتاز بها أزماتنا الداخلية، ولكنها تكفى أيضا لكى نمد نشاطنا واسمنا وجهدنا خارج وطننا فى البلاد العربية والإفريقية ، وفيما عداها ، حيث أخذت الهجرة المصرية والخبرة المصرية والنشاط المصرى يتزايد فى أمريكا واستراليا فأصبحت لنا جاليات نشطة عاملة منتجة تحظى بالاحترام والتقدير .

إن سويسرا واليابان ولبنان ودولا أخرى كثيرة لم تمنحها الطبيعة ثروات مادية تذكر ، بل لعل قسوتها كانت تتطلب جهدا غير عادى ، ولكنها استطاعت بسواعد أهلها وعقولهم وكدهم أن تبلغ من الثروة والعلم والمكانة والإنتاج شأواً كبيرا .

وفى مناقشة بيان الحكومة نشرت الصحف على لسان أحد النواب(١) ما نصه : « زيادة القوى العاملة بمقدار ٢٠٠ ألف كل سنة مع أن زيادة الذين يحتاجون لدخول ميدان العمل كل عام حوالى أضعاف أضعاف هذا العدد – إذ أن الزيادة السنوية للسكان تصل إلى مليون .

إن الثروة البشرية التى لدينا والزيادة السنوية لهذه الثروة تستوجب أن يكون من أسس سياسة دولتنا أن تجعل كل إنسان منتجا بأن تعلمه بعد أى مرحلة من مراحل تعليمه – مهنة أو حرفة أو عملا يعتمد به على نفسه ، ويكون به عامل ازدهار لوطنه ، بدلا من أن يكون عامل نقمة عليه .

---

(١) الأهرام ٢٧-١٢-١٩٧٦ .

إلى اليمين در

ماذا تعنى كلمة اليسار فى بلادنا [1]:

إن كلمة يسار — فى بلادنا وفى كل بلاد العالم ، وفى قاموسها الأصلى — تعنى فى أقصى حالاتها الوصول إلى العدل بحل جذرى . وذلك بانتزاع رأس المال من أصحاب رأس المال ، وانتزاع الأرض والمصانع من ملاكها ، وانتزاع ملكية وسائل الإنتاج من كل يد منتجة ليكون كل هذا ملكية دولة لا ملكية أفراد ، ويكون كل الشعب موظفين فى هذه الدولة ، وهو ما نسميه عندنا بالتأميم أو القطاع العام . . ومعناه ببساطة أن يحول الحاكم الشعب بأسره — وبجرة قلم — إلى عبيد لقمة . . لقمتهم جميعا فى يده ، وحريتهم بالتالى فى يده . . وبذلك يحول الجميع إلى قطيع بلا رأى وبلا حول وبلا طول . . وبلا جرأة فى شىء . وبلا حافز إلى شىء .

وما تلبث أن تنتهى هذه المؤسسة العامة إلى مجتمع من اللامبالاة والكسل وفقدان الهمة ، والإهمال وسوء الإنتاج ، ويصبح حالها تماما مثل حال « الأرض الوقف » ، وهو مانرى صورته حولنا فى كل مرافق القطاع العام . والنتيجة هبوط الإنتاج فى النوع والكم ، ثم انقلاب الآية ، فإذا ما تصوره الفلاسفة اليساريون على أنه حل اقتصادى ينتهى إلى العجز الاقتصادى . . فلا تجد علاجا سوى العودة

---

(١) أخبار اليوم ٢٩-١-١٩٧٧ — د. مصطفى محمود .

إلى الانفتاح . وإلى مد الأيدى إلى القطاع الخاص ، وإلى إغراء المستثمر الفردى من الداخل ومن الخارج . . نفعل ذلك فى بلادنا ، ويفعلون هم أيضا فى روسيا . وفى رومانيا . والمجر . وبولنده ، ويوغوسلافيا وفى كل معاقل اليسار . . يعود الكل فيأخذ خطوة إلى اليمين .

إذن : لم يكن اليسار هو الحق . لم يكن تقدما بل كان تخلفا . ولم يكن ازدهاراً اقتصاديا بل انهيارا اقتصاديا .

تجربة الاتجاه لليسار فى مصر والدول الاشتراكية :

يقول د. مصطفى محمود فى تفنيد دعوى إمكان وجود النظام الاشتراكى القائم على التأميم ونظام القطاع العام فى الصناعة والتجارة عن عقيدة جماهيرية ورغبة شعبية حرة :

« إنك لا يمكن أن تنزع الأرض من أصحابها ، والمصانع من ملاكها ووسائل الإنتاج من يد كل منتج دون أن تستخدم الجيش والبوليس ، وتسجن وتعتقل وتشرد وتهدد وتضرب بيد من حديد .

ومن هنا كان القهر والعنف والنظم القمعية من خصائص اليسار .

ثم إنه فى بلد صغير مثل مصر لا يمكن أن تفعل هذا دون أن تعتمد على معونة دول كبرى مثل روسيا ، فتدعو إلى بلدك النفوذ الروسى ، والأموال الروسية ، والخبراء الروس ، ثم ترسف فى النهاية فى الديون الروسية . . والضغوط الروسية ، والشروط الروسية .

---

(١) أخبار اليوم ٢٩-١-١٩٧٧ .

ثم تكتشف بعدفوات الأوان أن روسيا ليست دولة إيديولوجية بقدر ما هى دولة كبرى تتصرف بمنطق الدولة الكبرى ذات المصالح . . وأنك أمام استعمار من نوع جديد . استعمار مذهبي عقائدى يؤلب عليك أهلك . . ويحرض الأخ على أخيه والابن على أبيه ، ويزرع الحقد والحسد والبغض والكراهية فى طريقك ، ويضع لك الشوك فى حلقك .

« وحينما تحرك اليسار فى بلد تحرك معه الخراب وسال الدم : فى أنجولا — فى البرتغال — فى اسبانيا — فى نيجيريا — فى تايلاند — فى لبنان — وهناك فى أحداث ١٨ و١٩ يناير (١٩٧٧) فى مصر . والدبابات الروسية دكت صوت الحرية فى المجر ، وخنقت صيحة الديمقراطية التى أطلقها دوبتشك فى تشيكوسلوفاكيا ، لأنه لا شئ يفضح كذبة اليسار مثل الحرية والفكر الحر .

وليس صحيحا أن المعسكر الاشتراكى هو جنة العمال . . فالعمال فى أمريكا وانجلترا والنمسا والسويد والنرويج وألمانيا يتقاضون أجوراً أعلى ويعيشون فى مستوى من الوفرة والرخاء أعلى من رفاقهم فى روسيا والمجر وبولندة والصين .

والعمال فى البلاد العربية يهاجرون من البلاد الاشتراكية سعيا وراء أجور أعلى فى الخليج والسعودية والكويت ، وهى البلاد التى يقول عنها أصحابنا إنها رجعية .

وفى خطاب للرئيس السادات ألقاه على أساتذة ومديرى وعمداء الجامعات يوم ٣٠-١-١٩٧٧ يقول : لقد عبدنا صنم الاشتراكية حتى أصبح اقتصادنا على البلاط . « صنم اشتراكيتهم جعل الشعب لا ينتج

طعامه . ونحن مجتمع اشتراكى . إشتراكية إيه اللى تبقى اشتراكية والشعب غير قادر يطلع أكل . . مش قادر يطلع فيها أكله وهو شعب زراعة ويستطيع يأكل ويوكل اللى جنبه كمان » .

ثم عاد فأكد هذا المعنى فى لقاء آخر وقال : لقد فشلت اشتراكية الستينيات ١٠٠٪ .

• • •



الفصل الرابع

* الاتحاد الاشتراكي درع الناصرية .
* هيئة التحرير .
* الفراغ السياسى .
* النفعية وعدم النشأة الطبيعية للتنظيم .
* النظام الطليعي واحتكار الناصريين للسلطة .
* مسخ شخصيات الوزراء .
* وحدة الصف .



الاتحاد الاشتراكى درع الناصرية

ما قبل الاتحاد الاشتراكى :

قال كرم شلبي فى كتابه « بصراحة عن هيكل»[1] : « عند قيام الثورة كانت القوى السياسية الحقيقية التى كان ينظر إليها بأهمية فائقة تتمثل على وجه التحديد فى هذه القوى الثلاث :

١ ـ حزب الوفد ٢ ـ الإخوان المسلمين ٣ ـ الشيوعيون .

وكانت جماعة الإخوان هى أقرب التنظيمات السياسية إلى قلب وفكر عدد غير قليل من مجموعة الضباط الأحرار ، وكانت غالبية أعضاء اللجنة التأسيسية لهؤلاء الضباط من الذين نشأوا بين تنظيم الإخوان، وكان جمال عبد الناصر نفسه من المتعاطفين مع هذه الجماعة والعاطفين عليها أيضا ، وبلغ هذا التعاطف حداً جعل عبد الناصر يتصل بالمرشد العام للإخوان حسن الهضيبى ، وأبلغه بموعد قيام الحركة ، وطلب إليه أن يقوم رجال من جماعة الإخوان ـ ليلة الثورة ـ بحماية المرافق العامة فى القاهرة وحراستها .

وقد بدت ملامح هذا التعاطف أكثر فيما بعد عندما طلب مجلس قيادة الثورة من المرشد العام للإخوان المسلمين بعد ذلك ترشيح وزيرين من الإخوان المسلمين فى أول وزارة شكلت بعد قيام الثورة . .

(١) بصراحة عن هيكل ص ٥٣ .

تعقيب :

الواقع أن الاتصال بين عبد الناصر والإخوان بشأن الحركة لم يكن مباشرا وكان لقاؤه بالمرشد عقب نجاح الحركة بيومين أو ثلاثة مع أعضاء مجلس قيادة الثورة ، واستمرت حراسة الإخوان للمنشآت ومراقبة أعداء الثورة عدة أسابيع بل نحو ثلاثة أشهر ، ورفض الهضيبي الاشتراك فى الحكم إلا إن كان الإسلام أساس الحكم ، أما أحمد حسن الباقورى الذى قبل الاشتراك فى الحكم فقدم استقالته أولا ، ورشح الأستاذ الهضيبي لوزارة العدل رجلا متدينا ذا كفاءة،وكان مجلس الثورة اختار ستة من الحزب الوطنى ، والبقية مستقلين ، كما اختار المجلس الأستاذ سليمان حافظ وكيلا لمجلس الدولة ، ثم نائبا لرئيس الوزراء محمد نجيب فى ٧ سبتمبر ١٩٥٣ (١) .

وكان شعار حركة الجيش « نحن نحمى الدستور » فأخذ سليمان بفلسفة لم تكن فى الحسبان هى أن هذه الحركة لها خصائص « الثورة » والثورة من حقها التمرد على كل ما يقف أمامها من نصوص دستورية ونظم ، فبدأ يعدل فى الدستور ، وانتهى التعديل إلى الإلغاء وتشكيل هيئة تأسيسية لعمل دستور ملائم ، ثم صدر قرار بتطهير الأحزاب من العناصر المفسدة والتى كان لها ولاء للملك أو الإنجليز ، وتشكيل أحزاب جديدة على مبادئ ، وتطور الأمر إلى قرار حل الأحزاب السياسية فى ١٦ يناير ١٩٥٣ بعد إعلان تشكيل هيئة التحرير فى ١٥ يناير ١٩٥٣ التى أسرع إلى الانضمام إليها كثير من الحزبيين النفعيين ، وحرصت الثورة على أن يكون فى قانونها كل الأنشطة التى فى هيئة الإخوان المسلمين ، وكان رأى الأستاذ الهضيبي فى

(١) بصراحة عن هيكل ص ٦٠

« جمال » والذين صحبوه فى أول لقاء بين المرشد وبينهم ، أن عملية التحول إلى الإسلام تحتاج مستوى من الشخصيات لم يتوافر فى هؤلاء الشبان المغامرين ، ومن ثم أوصى الإخوان ألا يذوبوا فى هيئة التحرير ، ووقع الصراع لا التعاطف .

ولئن لم يشمل قرار حل الأحزاب جماعة الإخوان فلأن قانون الجماعة ينفى أنهم حزب ، بل ينص على تحريم التمزق والصراع الحزبى ، ثم لأن سياسة جمال فى دعم سلطته كانت تجرى على قول حافظ إبراهيم فى سياسة الإنجليز :

فما مصر كالسودان لقمة جائع ولكنها مرهونة لأوان

وكراهية الهضيبى قرار حل الأحزاب الذى لم يشمله، واعتراضه عليه ليس لتغير رأى الإخوان فى الأحزاب يومها ، ولكن لاستباحة الثورة مخالفة الدستور والنظام العام ، وذلك لأن نظاما معروفا خير من حكم استبدادى . بلا قيود معروفة . باعتبار قاعدة « أخف الضررين » . أو كما قال : « لا تفرحوا بقانون إذا لم يصبكم اليوم فسيصيبكم غداً » وفى المثل العربى : أكلت يوم أكل الثور الأبيض .

هيئة التحرير :

« أعلن عنها فى ١٥ يناير ١٩٥٣ لتمتص ذوى الطموح السياسى من الأحزاب التى أعلن عن حلها فى ١٦ يناير ١٩٥٣ ، وقد اشتركت هذه الهيئة فى تنظيم الإضراب العام فى ٢٦ مارس ١٩٥٤ ذلك الإضراب المزيف الذى قام به البوليس الحربى فى ملابس مدنية لإلغاء قرارات ٢٥ مارس ١٩٥٤ التى كانت تنص على السماح بقيام

الأحزاب ، وإعادة الجيش إلى الثكنات ، وتشكيل جمعية سياسية بالانتخاب الحر المباشر ، وإلغاء الحرمان من الحقوق السياسية للمواطنين[1]» .

ثم تطور الأمر إلى حل الهيئة والاستبدال بها نظاما جديداً هو الاتحاد القومى ، الذى انحل ليصاغ صياغة جديدة باسم « الاتحاد الاشتراكى العربى » وفى كل هذه الأطوار قرر الإخوان عدم ممارسة نشاطهم « الإسلامى البحت » خلال هذه المؤسسات التى تضم فئات أخرى على النقيض كالشيوعيين والمسيحيين ، فحرصا على عدم وجود صراع آثر الإخوان أن يكون نشاطهم بعيداً عن هذه المؤسسات ، ليغلقوا الباب فى وجه الشيطان الذى يمكن أن يتسلل باسم الوحدة الوطنية إلى هذه المؤسسات لو أنهم انضموا إليها . . وكان هذا عملا مخلصا وحكيما . . ولكن رأت الثورة فيه استكبارا وعناداً « والله يعلم المفسد من المصلح » وشاءت السلطات إعنات الاخوان وتهديدهم إذا لم يشتركوا فيها . . ولكنهم آثروا المتاعب من أجل المصلحة العليا للوطن ثم مصلحة استقرار التنظيم السياسى للدولة الذى يسمى « الاتحاد الاشتراكى » . ولكن ماذا يقول المفكرون عن هذه التنظيمات السياسية التى تتبناها الدولة ؟ .

شهادة ناصرى :

صدر كتاب « عبدالناصر المفترى عليه » وفيه يعترف المؤلف بما نصه : « اكتشفنا أن الكثير من العناصر التى تقود الثورة المضادة هى نفسها

---

(١) بصراحة عن هيكل ص ٨١–٨٢

التي كانت تدافع عن ناصر . وهذا دليل على وجود خلل خطير في نظامه يجعل من وجود الانتهازيين والعناصر المعادية قاعدة عامة » .

ثم يقول : وقد اكتسب حكمه طابعاً فردياً بارزاً ، وازداد دور أجهزة الأمن ، وأجهزة الدولة البيروقراطية والمعادية بحكم طبيعتها للجماهير ... « ولقد كان عبد الناصر يفقد التنظيم الحزبي الذى يحميه ويبصره ، وكان يقاوم فكرة هذا التنظيم بشدة ، وإن هذا العداء للعمل السياسي المنظم ولدور الجماهير والأحزاب ، قد أصبح أحد أسس النظام ولقد أدى هذا إلى نتائج مفجعة على النطاق العربي كذلك ... فقد اشترط لقيام الوحدة مع سوريا حل حزب البعث ، واستبدل بالحزب تنظيماً رجعياً هو الاتحاد القومي» .

لقد افتقدت البلاد أى مظهر من مظاهر الديمقراطية ، وهذه بدورها أدت إلى نمو مراكز قوى ، وسيطرة عناصر وشخصيات هزيلة وتافهة على كثير من المراكز الحساسة ، وكل مؤهلاتها الولاء المطلق للشخص ، وليس الإيمان بموقف سياسي واجتماعي .

« والنتيجة المنطقية هي زيادة القبضة البوليسية ، وبالإضافة إلى الطابع العسكري للنظـــام ، والنشأة العسكرية التي تنفر من العمـــل الشعبي ، فقد كان هناك إصرار على إبعاد الجماهير كلية عن المشاركة في العمل السياسي ، وعدم السماح لها بأى دور ، بل واستعمال القسوة المبالغ فيها إذا رأى إرهاصات تبشر بذلك (١) .

إيجاد الفراغ السياسى :

قال الأستاذ على الزير المهندس الزراعى(٢) : إن الثورة جاءت والوطنية المصرية في ذروتها ، ولذلك أيدها الشعب ، ولكنها ألغت

---

(١) تاريخ بلا وثائق ص ٤٨ – ٤٩ . (٢) روز اليوسف ٢٠-٩-١٩٧٤ .

الأحزاب ، وعطلت الدستور ، وخلقت فراغا سياسيا حاولت ملأه بالاتحاد القومى ولـكنه فشل ، وفشلت كل صوره بعد ذلك .

فلقد أعيد تشكيله خمس مرات ، وكان وكراً لمراكز القوى ، ومنح ملكية الصحف وحق السماح باستصدار صحف .. وكان المجلس الأعلى للصحافة ضربة للاتحاد الاشتراكى ،ولكنه كان مجرد بديل للسيادة على الصحف والكلمة .

لقد أعلنت الثورة تمسكها بدستور ١٩٢٣ ثم لعنته . ولولا أن الدول الغربية أحرجت عبد الناصر لعدم وجود حياة ديمقراطية فى مصر ما سمح بصدور الدستور المؤقت .وهو دستور صورة .

وقد قال على بدوى لعبد الناصر : إن أى دستور أو انتخابات صورية تتمخض دائما عن تسلل عناصر معارضة عنيدة أو تريد الشهرة. فإذا فعل ما لا يرونه صوابا حاسبوه ولن يستطيع التهرب من المسئولية .

وهذا ما حدث فعلا بعد هذا ، فقد فصل ١٣ نائبا من عضوية الاتحاد الاشتراكى فسقطت عضويتهم تلقائيا من مجلس الأمة لمعارضتهم. وكان يشترط فى عضو مجلس الأمة أن يكون عضوا فى الاتحـاد الاشتراكى.

كما كان إلغاء الأحـزاب بالرغم من ضعفها وتعديل برامجهـا إمعانا فى بقاء الحكم دكتاتوريا . .

وكان حل القضاء المصرى واعتبار جميع رجالاته معزولين ثم تشكيل دوائر القضاء حسب الثقة والرضا الشخصى لناصر ومراكز القوى أكبر هزة للحكم الديمقراطى من الأساس .

وبهذا أو غيره أوجد عبد الناصر فراغا فى حياتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية بل والعسكريه .. وكفر الناس وبخاصة الشباب — بالنظام

الناصرى – فكان ما سمعناه عن كثرة الجماعات السرية سواء أكانت دينية أوغير دينية(١) ، وكان عدد المفرج عنهم من معارضى عبد الناصر نحو سبعين ألفا (٢) .

النفعية وعدم النشأة الطبيعية للتنظيم :

يوضح هذه الأدوا والدكتور يحيى الجمل المحامى فيقول(٣): الأصل فى التنظيمات السياسية أنها تعمل وسط الجماهير من أجل الوصول إلى السلطة لتحقق بواسطتها ما تسعى إليه من أهداف سياسية واقتصادية . السلطة هدف ووسيلة فى نفس الوقت . هدف تسعى إليه التنظيمات السياسية ، فإذا حصلت عليه فإنها تصبح فى يدها وسيلتها نحو تحقيق أهدافها . . وهكذا يوجد نوع من العلاقة الجدلية المستمرة بين التنظيمات السياسية والسلطة فى البلاد التى تتعدد فيها الأحزاب ، وكذلك كان الحال عندنا على نحو ممسوخ قبل ثورة ٢٣ يوليو . وقامت الثورة وألغت الأحزاب القائمة التى كان السوس قد نخر فى عظامها حتى أن بنيانها قد انهار دون أدنى مقاومة .

وبدأت الثورة تكون تنظيمها السياسى فى ظل السلطة ، وكان المفروض أن يبلغ ذلك التنظيم من العمق والتغلغل فى نفوس الجماهير إلى المدى الذى يجعل من التنظيم سنداً حقيقيا للسلطة ، ولكن الذى حدث فى الواقع أن التنظيم كان دائماً عالة على السلطة ، ولم يكن سنداً لها ، كان تابعا ولم يكن محركا ، كان مبررا ولم يكن موجها . كان بوقا ولم يكن مبدعا .

وقد اهتمت ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى اهتماما خاصا بهذه

(١) سنوات العار ص ١٥٣ ــ ١٥٨ . (٢) تاريخ بلا وثائق ص ٤٣ .

(٣) الأخبار ٢١-١٠-١٩٧٥ .

القضية ورفضت بشكل صريح أن تكون مهمة « الاتحاد الاشتراكي » هي شرح وتفسير وتبرير كل ما تتخذه الحكومة من إجراءات .

ثم قال : ولست أتصور تنظيما سياسيا فعالا يعيش كلا على سلطة الدولة فى كل شيء ، فى المبانى التى يشغلها، فى السيارات الفارهة أو غير الفارهة التى يركبها أعضاؤه ، بل وفى ميزانيته .

ومثل هذا التنظيم لابد أن يعيش أعضاؤه فى نوع من التبعية النفسية والذهنية لأجهزة السلطة ، ذلك على حين أن الأصل فى الأمور أن تكون أجهزة السلطة هى التى تحاول جهد طاقتها أن ترصد حركة التنظيم السياسى الذى يعبر عن نبض الجماهير لكى تجد عنده السند والعون ، ولكى تجد لديه الحلول الحقيقية لمشكلات الناس — على الأقل — من الناحية النظرية ، لكى تقوم السلطة بعد ذلك بنقل هذه الحلول من حيز النظر إلى حيز الواقع .

إن العمل السياسى — فى جوهره — بذل وليس ارتزاقا . لذلك نريد التنظيم المبدع الفاعل ، لا مجرد مبرر شارح .

وقال الدكتور عبد الحميد لاشين[1]: إن الاتحاد الاشتراكى كالمريض الذى يعيش على المسكنات ، وكثرة المسكنات تخلق سرطانا يصعب علاجه ، أين هى خصائص التنظيم ؟ إن أهدافه وخصائصه لم تكن واضحة حتى نحاسبه عليها .

وقال الأستاذ حسين كامل : إن مراكز القوى إذا كانت سيطرت على الاتحاد الاشتراكى فقد كانت تسيطر على الأحزاب القديمة . فيجب إلغاؤه .

---

(١) الأخبار ١٥-٩-١٩٧٤

. وأضاف د. محمد دياب : وعلينا أن نحذر من الإقطاع الحديث الذى أثرى باسم الاشتراكية .

وفى جريدة الجمهورية (١٦-١-١٩٧٦) تقول : تحقق النيابة العامة فى بلاغ تقدم به حامد هشام عضو مجلس الشعب عن استيلاء بعض أعضاء لجنة الاتحاد الاشتراكى بإحدى قرى مركز أبنوب على حصة الأهالى من الردة المستخدمة كعلف حيوانى .

وفى مقال بالأخبار (١٥-٧-١٩٧٦) لموسى صبرى : بعض الشيوعيين والمدعين الناصرية ينفقون ببذخ شديد فى الانتخابات ، ولا نعرف لهم مصدرا لهذه الآلاف التى تصرف بلا حساب ، ولا حديث للناخبين إلا عن هذه الشيوعية الرأسمالية التى بذت كل مظاهر الإقطاع فى انتخابات ما قبل الثورة . كمحمد عبد السلام الزيات . .

وقال الرئيس السادات فى اجتماعه بأعضاء اتحاد طلاب الجامعات فى ١-٢-٧٧ : إن الاتحاد الاشتراكى فشل لأنه كان نظام الرأى الواحـــد .

ولنتصور كيف تحول شعار « تحالف قوى الشعب العاملة » إلى الواقع الذى قاله الرئيس السادات . . ننظر إلى ما جاء فى اجتماع مجلس الأمناء وتعليق روز اليوسف على هذا إذ تقول تحت عنوان « الاتحاد الاشتراكى يذبح نفسه » ما يلى :

« ويقول السيد « يوسف مكادى » أمين الوجه القبلى للاتحاد الاشتراكى فى اجتماع مجلس الأمناء فى يناير ١٩٧٥ ما نصه طبقا لما فى محضر الجلسة الذى نشرته روز اليوسف فى ٨ مارس ١٩٧٦ .

---

(١) روز اليوسف ١٥-٣-١٩٧٦ .

« قبل عام ١٩٧١ ما كان يجرؤ أحد أن يتكلم ضد التنظيم أو يخطئه ، تحت سيطرة القوة والضغط » .

ثم قال : « هل ننتظر إلى أن يتحرك الشيوعيون فى الشوارع ، أو يتحرك الإخوان المسلمون مرة أخرى تحت حرية الصحافة ؟

ثم قال : « لابد أن نجعل رأى التنظيم السياسى واضحا ولا نذهب يمينا ولا يساراً » إلى أن قال :

« شخص شتم الرئيس السادات : لا نتركه ، كان المفروض أن نحرقه فى نفس اليوم ولا نحاكمه فقط . نحرقه (محمد حسنين هيكل) ونحرق الاثنين والأربعين الذين قابلوه فى المطار يقولون له : نحن نؤيدك فى سياستك ضد أنور السادات » .

وتعقب المجلة قائلة :

إلى هنا انتهى النص المثير ، ولسنا نتصور إمكان الحصول على وثيقة انتحار لأى تنظيم سياسى أبلغ من هذه الوثيقة ، فالتنظيم اسمه « تحالف قوى الشعب العامل » ولـكن الذى يقود نصف هذا التنظيم يرفض جميع القوى بلا استثناء .

« وفى كل الدنيا تظهر فكرة التحالف بقصد تنظيم الصراع بين قوى سياسية حية متحركة ، ويستمد نبضه من حيويتها وحركتها ، ولـكن قائد نصف الاتحاد الاشتراكى يقف على « منبر التحالف » يطلق جرس الإنذار « الإخوان المسلمون يتحركون » الشيوعيون . . الخ

وقد يخطر ببالك أن تسأله : إذا لم تكن هذه القوى وغيرها تتحرك فما الحاجة أصلا إلى « التحالف » وإلى منصب سيادتك ؟ ولـكن الجواب

عنده جاهز ، فهمة التحالف التي سيمثلها الاتحاد الاشتراكي عنده تتلخص — من وجهة نظره — فيما يأتي :

١ — محاكمة كل من يفتح فمه ، والكتاب بالذات .

٢ — فصل الناس من أعمالهم ، والكتاب بالذات ، فطرد ٦٤ صحفيا مفخرة ، وقرار السادات إعادتهم تفسيره — عنده — أنهم ضحكوا عليه .

٣ — حرق الناس أحياء ،وكدفعة أولى محمد حسنين هيكل و٤٢ من الأهرام .

النظام الطليعي واحتكار السلطة

جاء في اعتراف أحد رجال النظام الطليعي في النشرة ٩٦ (طليعة الاشتراكيين) الصادرة في ٦-١٠-١٩٧٠ يجب أن نتحرك لتدعيم السلطة والنظام الذى أقامه جمال عبد الناصر ، ولا مكان بيننا لمن يريد أن يستغل موت جمال عبد الناصر ليتسلل من خلال الأنظمة والمبادئ الدستورية القائمة إلى صف النضال الذى تخلى عنه ، ولهذا فإننا نتعجل خطواتنا لدعم السلطة التي خلفها لنا جمال عبد الناصر[1]» .

روح التسلل والنفعية في الطلائع :

ثم قال العضو الطليعي « طايل السيد الشبشيرى » المدرس الابتدائي بإيتاى البارود : في التنظيم حاولت طغمة أن تسخر بعض الانتهازيين من أعضائه لتحقيق أهدافها ، وإن كثيرين من أعضائه — كما قال الأستاذ صلاح حافظ — مازالوا في مواقعهم التنفيذية أو السياسية ، إن زميلا لى في التنظيم هو الآن عضو ممتاز في مجلس الشعب عن الفلاحين ،

(١) روز اليوسف في ٢٠-٩-١٩٧٤ .

إن كثيرين ممن يتهجمون الآن على التنظيم (وهم اليوم أسماء لامعة) كانوا أعضاء فيه لمحافظة البحيرة .

النصب والاحتيـــال :

كثيرا ما نسمع عن جمع أموال للمصالح العامة أو الخاصة بمعرفة شخصيات بارزة فى الاتحاد الاشتراكى ثم لا تتحقق ، ومن هذا القبيل ما جاء فى الأخبار ٢٧-٨-١٩٧٥ عن سعيد محمد ابراهيم فراج ٢٦ شارع المنيل بالقاهرة يقول : أخذ منى رئيس مركز شباب السيدة زينب – وهو فى نفس الوقت أمين لجنة القسم – مائتى جنيه ليبنى لى محلا بأرض تابعة للمركز أستخدمه ورشة لسمكرة السيارات ، وبعد أشهر طويلة قال لى : إن البلدية معترضة ، وأعاد لى خمسين جنيها والباقى استعوض ربنا فيهم ، ذهبت لمدير المركز قال : إن المركز لم يورد إليه أى مبلغ باسمى . هذا هو أكبر جهاز من أجهزة الناصرية يدمر تحالف قوى الشعب العامل .

وقد تناول النائب العام السابق محمد عبدالسلام فى كتابه «ذكريات عصيبة ، كثيراً من قضايا الاختلاسات والمفاسد والسرقات والرشاوى ، وهى جميعاً قضايا مدعمة بالوثائق والأسانيد ، وقد رفض ذلك العهد تقديم أى واحد من هؤلاء المختلسين المفسدين اللصوص المرتشين إلى المحاكمة(١) .

مسخ شخصيات الوزراء :

قال الدكتور عبدالحميد كمال حشيش أستاذ القانون العام بحقوق القاهرة :

« ليس من قبيل المصادفات السعيدة أننا لم نسمع فى العشرين سنة الماضية (من بدء الثورة) أن وزيراً قد اعتزل منصبه لخلاف سياسى

---

(١) تاريخ بلا وثائق للدكتور إبراهيم عبده ص ١٢٧ .

بينه وبين رئيس الوزراء . كما أننا لم نعرف وزارة قدمت استقالتها لخلاف حول السياسة العامة بينها وبين رئيس الدولة .

ولا عجب فى ذلك . فهذه هى طبيعة الموظف المجبول على النظام والطاعة والخضوع لتعليمات وتوجيهات رؤسائه ، حتى ولو كان هؤلاء الرؤساء من أكثر الناس حباً للديمقراطية .

ولا جرم أن عدم استناد الوزارة إلى تأييد شعبى منظم وتجمع ، يؤثر فى نفسية وشخصية أعضائها . مهما أوتوا من الشجاعة والحكمة والدراية . ويستحيل فى الظروف التى تشكل فيها الوزارات فى مصر أن يكون لكل وزارة برنامج مدروس فى روية وأناة ، وقد اختيرت الوزارة من أجل تنفيذه ؛ إذ يقتضى هذا وجود كيانات سياسية تلتف حول مجموعة من الأهداف والبرامج المحددة ، ثم يتم اختيار إحدى المجموعات لتحمل أمانة الحكم فى مرحلة من المراحل ، حيث يتبين أن برنامج هذه المجموعة أو تلك هو الذى يحظى بتأييد الشعب . أما فى مصر فإن سياسة الحكومة توضع بعد تشكيلها . ولذلك تقتصر مهمة الحكومة على تنفيذ المهام التى يكلفها بها الرئيس .

فمجلس الوزراء فى مثل هذا المناخ لا يشترك فى وضع السياسة العامة للدولة ، إنما يتحول إلى مجرد مجلس تنفيذى .

الأمر الثانى أنه من المتعذر على مجلس الوزراء — وهو يتكون من وزراء غير محدودى الهوية السياسية والفكرية — أن تكون له سياسة متناسقة منسجمة ، فلا غرابة أن تتضارب تصريحات الوزراء ، وأن يقع خلاف بين الوزيرين المختصين بالاقتصاد والتجارة حول مسألة أساسية هى « الاستيراد دون تحويل عملة » .

وحـــدة الصف

الوحدة للصفوف غاية من غايات الشعوب،فماذا قالت الصحافة عما أشاعته الثورة من عبارات « العمال والفلاحين ، والرأسمالية الوطنية — وفئات وعمال » . . . الخ .

فى ٩-٩-١٩٧٤ تقول الأخبار : عارض الدكتور أحمد الحوفى الأستاذ بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة فكرة تفتيت الشعب وتصنيفه إلى فلاحين وعمال وجنود ومثقفين ورأسمالية وطنية . فالأسرة الواحدة فيها الأب عاملا والأبناء مثقفون أو جنود .

ومعنى هذه العبارات : أن تغرس الأحقاد فى الأسرة الواحدة .

إن مصر العريقة فى ظلال جهادها الطويل . مصر هذه يقطع تاريخها بأن القوة الوطنية كانت واحدة ، ولم تكن قد تفتتت ، كما نريد الآن أن نصنع ، هذا التفتيت يعارض القيم الروحية التى يدعو إليها الإسلام والمسيحية .

ضحك على العقول :

وقال إبراهيم البعثى (صحفى) فى جلسة الاستماع هذه : « إن عبارة (تحالف قوى الشعب) ضحك على العقول ، وتحالف قوى الشعب كان موجوداً أثناء ثورة ١٩١٩ . إن الأحقاد اليوم تملأ قلوبنا . ومع

الأسف « تحالف قوى الشعب » انتهى إلى تمزيق قوى الشعب .

ثم اقترح أن ترفع الوصاية عن الأمة من تحالف المنتفعين بثورة ٢٣ يوليو ،

وقال ثروت أباظة : إن حافظ بدوى أعلن أن ٩٩٪ من الشعب قد وافق على نظام التحالف ، وأنا أقول : إنه لم يحدث فى تاريخ البشرية إجماع مثل هذا على أى شيء ، وإذا كان قد حدث فهو غير صحيح .

الناصرية والماركسية والأحزاب :

هل الماركسى يؤمن بالأحزاب أم أن الأحزاب كالحذاء يلبسه للضرورة وينتفى منه أو يدعه للضرورة كذلك . وهل الناصريون مذهب سياسى أو مطية ركبها الماركسيون ؟ إن الأستاذ لمعى المطيعى يجيب عن هذا السؤال فيقول[1] :

إن حصر الحزب اليسارى فى دائرة الماركسية يعزله عن القوى الوطنية الأخرى ، ويسهل ضربه ، ولذلك اشترك اليساريون مع الناصريين فى الحزب .

وفى جلسات الاستماع (سبتمبر ١٩٧٥) هاجم الماركسيون عودة الأحزاب ، وفى الطليعة عدد نوفمبر ١٩٧٤ كتب لطفى الخولى يصف الداعين إلى قيام الأحزاب ، بأنهم اليمين المتخلف الذى طفح على جلد الأمة .

---

(١) الأخبار فى ٦-١٢-١٩٧٦ .

وفى ص ١٤ من العدد نفسه كتب شوقى جلال يقول : (إن الدعوة إلى الأحزاب أى أحزاب يعنى تسليم الثورة إلى أعدائها فى نهاية الأمر ، وعودة إلى الوراء قرابة ربع قرن .

وفى أوائل عام ١٩٦٥ أصدر التنظيمان الشيوعيان الرئيسيان فى مصر « الحزب الشيوعى والحركة الديمقراطية » من معتقل الواحات بيانا أعلنا فيه التخلى عن فكرة « التنظيم المستقل الثورى » ، ووعدا فيه (بتدعيم التنظيم الواحد للثورة ، والعمل من خلاله كأفراد) — وفى المقابل تم الإفراج عن الشيوعيين .

وفى أبريل ١٩٦٥ صدر القرار الجمهورى بالعفو الشامل عن جميع العقوبات الأصلية والتبعية ضد الشيوعيين ، وفوجئ المجتمع بالقيادة السياسية تفرض الماركسيين فى جميع المجالات الهامة . فى أمانات الاتحاد لاشتراكى ، وبخاصة أمانة الدعوة والفكر ، والأمانة السياسية . ومعهد الدراسات الاشتراكية ، ورئاسة مجالس إدارات مؤسسات الكتاب ، والمسرح والسينما ، والمؤسسات الصحفية ونقابات الصحفيين ، والمحامين ، والنقابات العمالية ، واللجنة المركزية ، والبرامج الإذاعية وخاصة صوت العرب ، والتلفزيون ، والسيطرة تحريريا وإداريا على أخبار اليوم والهلال وروز اليوسف . وصفحات الرأى والفكر فى الجمهورية والمساء والأهرام .

فضلا عن ثلاث دور نشر ملكية خاصة للماركسيين ، ومبالغ طائلة رصدتها الدولة وضعت تحت تصرفهم بدعوى الإنفاق منها على أوجه النشاط السياسى ، وغمرت الكتب والصحف والمجلات — والمطبوعات والأفلام الماركسية السوق والأرصفة .

وبدا الأمر وكأن السلطة والماركسيين كوجهى عملة واحدة . أو هكذا صوروا الوضع تطبيقا لشعار (التنظيم الواحد للثورة) .

وفى عام ١٩٧٥ أعلن وزير الداخلية أن هناك تنظيمات ماركسية سرية منها واحد موال للسوفييت ، والثانى للصين ، والثالث يعتنق التروتسكية . فالذى نؤكده أن « العقلية السرية مازالت تحكم حركة القادة الماركسيين فى المجتمع . ودليل بارز هو شعار حق الإضراب الذى لم يرد فى البرامج المعلنة للحزب حتى قام إضراب بعض عمال النقل . فأصدر التجمع الماركسى فى ٢١-٩-٧٦ بيانا جاء فى نهايته المسارعة فى الاعتراف بحق الإضراب .

وأصبح اعتناق مبدأ الوصول إلى السلطة بالطرق البرلمانية مألوفا لدى عدد من الأحزاب الشيوعية الأوروبية مثل الحزبين الإيطالى والفرنسى .

فهل عرفت بعد توضيح الوثائق كيف يؤيد الشيوعى اليوم مبدأ ويعارضه غداً طبقا لمصلحته الخاصة ؟ إنه لا يؤمن بمبادئ . . إن مبدأه الأصلى هو « نفسه » ثم يستخدم كل شيء لخدمة أغراضه الشخصية.

استجابة :

وأخيراً : بعد كتابة هذا أصدر الرئيس السادات قراراً بحل «الاتحاد الاشتراكى » لإنهاء الوصاية على الفكر والأحزاب ، فى نفس الوقت الذى أعلن فيه قيام « الحزب الوطنى الديمقراطى » .

* * *

التجـــارة بقضية فلسطين

غباء سياسى فى تجميد القضية :

يقول الأستاذ جلال كشك تحت عنوان (هزيمة ١٩٥٦ السياسية أفدح من الهزيمة العسكرية)[١] .

اتفــاق الجنتلمــان :

« فى الفترة ما بين ١٩٥٢ و ١٩٥٦ كانت الناصرية ملزمة باتفاق الجنتلمان الذى تم عشية حركة ٢٣ يوليو بين الرئيس جمال عبد الناصر والولايات المتحدة الأمريكية ممثلة فى (كرميت روزفلت) ومعاونيه والذى اتفق فيه على أن تتعهد الولايات المتحدة بمنع تدخل القوات البريطانية لضرب الثورة ، وتتعهد بدعم النظام الجديد اقتصاديا ودوليا . . مقابل تعهد النظام الجديد بتجميد الموقف مع اسرائيل حتى تتوفر الظروف المناسبة لتحقيق السلام » . . وقد نفذ الطرفان اتفاقهما بأمانة كاملة » . فهذا هو خط السياسة الأمريكية تجاه مشكلة الشرق الأوسط .

كذلك فإن أعداد الأهرام القديمة حافلة بتصريحات الرئيس الراحل التى يؤكد فيها أنه لم يكن يفكر فى الحرب ضد إسرائيل . ولا كان يخطط لها . حتى أجبرته إسرائيل على تغيير مسلكه بعدوانها على العوجة والصابحة وغزة . . . . الخ .

---

(١) الجمهورية فى ٢٢-٩-١٩٧٧ .

اتفاق لتأكيد الاتفاق السابق :

وفى الفترة من ١٩٥٦ إلى ١٩٦٧ كانت مصر ملتزمة بالاتفاقية التى تم الوصول إليها مع الحكومة الأمريكية والتى تعهدت فيها مصر بتجميد الوضع على حدود إسرائيل عشر سنوات مقابل تعهد أمريكا بإخراج إسرائيل من سيناء وغزة .

وقد نفذ الطرفان الاتفاقية كاملة فانسحبت إسرائيل من سيناء وغزة على أن يفكر الساسة فى حل خلال عشر سنوات .

ما هو أشنع من الخيانة :

ومما هو ليس فى الاتفاق ما قاله جلال كشك : « ومرت سفن إسرائيل فى خليج العقبة وأسقطت « السيادة الفعلية لمصر عن شرم الشيخ والجزر حيث احتلتها قوات الأمم المتحدة » .

وقد وقف مندوب الاتحاد السوفييتى — وقتها يتساءل فى دهش : ما الذى يجعل مصر تقبل شروط وقف إطلاق النار هذه ؟ ويحرض المندوب المصرى قائلا : لستم بمجبرين على قبول البوليس الدولى أو التنازل ! وتحولت غزة إلى منطقة منزوعة السلاح . واعتراف بما استولت عليه إسرائيل .

فى نهاية السنوات العشر :

كانت الضربة الإسرائيلية . . « لقد كان العهد الراحل يستطيع أن يلعب بورقة الدعم الدولى بعد الإدانة الشاملة لإسرائيل وقرارات الأمم

المتحدة المتتالية بالجلاء بلا قيد ولا شرط ، بل وتعويض مصر . .
كان يمكن أخذ معونات وقروض من روسيا والصين . . ومع ذلك
رفض العهد الراحل الحرب . وتنازل تنازلا مثيرا . وحول الإعلام
المصرى الهزيمة إلى أعياد النصر .

• • •

الفصل الخامس

* طمس التاريخ الوطنى .
* نكسة العلم فى بلادنا .
* تخريب نفسية المصرى .
* جمهورية الخوف .
* صفحة سوداء من تاريخ الإرهاب .

التعـــــليم

بالعلم والمـال يبنى الناس ملـكهم لم يبن ملك على جهـــل وإقلال

وقد سبق أفردنا للاقتصاد بابا، والآن نبحث عن العلم فى العهد الناصرى وعما إذا كانت صيحة الرئيس السادات فى المسجد الحسينى عن المنهج الذى ينبغى أن يراعى فى بناء الأمة بعد إفساد مراكز القوى لهـا ينبغى أن يقوم على العلم والإيمان والأخلاق الراسخة التى تنشأ عن الإحساس بالعيب. نقول عما إذا كانت هذه الصيحة ناشئة عن إحساس بانهيار، أو على الأقل جمود فى التعليم لا يتكافأ وحاجة الأمة من المستويات العلمية المنوعة . . ولـكيلا أتهم بالانحياز أترك المجال للصحافة تحدثنا عما قاله قادة الفكر .

قال الدكتور لويس عوض[1]: « أو ليس نشر التعليم العام منه والمتخصص، على أوسع قاعدة ممكنة، وبأرقى مستوى ممكن، هو أول شروط التقدم الحضارى فى مصر وفى غير مصر من بلاد الله ؟ فما الذى أفضى بنا بعد عشرين عاما من الثورة إلى أن نتوقف تعليميا عند حالتنا الزرية فى أواخر عهد فاروق ؟

الإجابة — فى نظرى — هى أننا سلمنا قيادات التعليم وخزائنه ومفاتيحه لمن يعارضون أو يكثرون من التحفظ على تعليم الشعب حجما ونوعا، إبقاء للقلق الاقتصادى والقلق الاجتماعى .

---

(١) الأهرام فى ١١-١٠-١٩٧٤ ص ٣ .

وحيما لم يكن مناص من تعليم الشعب مسخوا نظام التعليم وبرامجه ؛ فحولوا التعليم إلى تربية ، وبعد أن كان الناس يربون أبناءهم ، والدولة تعلمهم ، أصبحت الدولة تربى أبناء الناس ، والناس يعلمون أبناءهم ويالها من تربية ، وياله من تعليم !!

هذا ما قاله لويس : وللتاريخ أذكر أننا نحن الإخوان شكلنا – كطلب مجلس قيادة الثورة – لجنة لوضع مناهج التعليم الذى يتناسب مع حاجة البلاد فى وثبتها . . وكان من أعضاء اللجنة المرحومون : سيد قطب وعبد العزيز عطية والبهى الخولى .

وذات ليلة جاءنا ضابط الاتصال بين الثورة واللجان المختلفة المكلفة بتقديم برامج إصلاحية فى التعليم والزراعة والقانون وغير ذلك . وهو المرحوم عبد القادر عودة وقال : « البكباشي جمال عبد الناصر يطلب أن تكونوا على اتصال بإسماعيل القبانى ». وهو الوجه الأمريكى للتربية فى مصر . فعرفنا من ليلتها من الذين سيتسلمون قيادات التعليم .

وقال فكرى أباظة : لقد تخرج أحد الأطباء من الجامعة دون أن يمسك المشرط مرة واحدة .

وفى تحقيق لروز اليوسف عن كرسى بالجامعة لمحو الأمية[1] مانصه :

« فى اليوم الثامن من سبتمبر من كل عام نحتفل بحلول اليوم العالمى لمحو الأمية بلا كلل أو خجل ، ومنذ الأربعينيات وآباؤنا يسمعون عن محو الأمية والخطط الموضوعة للقضاء على الأمية البشعة ، ومن المؤسف

---

(١) فى ٢٠-٩-١٩٧٤ .

أن وسائل الإعلام أخذت تزف لنا البشرى : لقد زادت نسبة الأمية من حوالى ٧٠٪ إلى ٧٥٪ هذا العام .

لقد تفتق ذهن بعض الأساتذة الجامعيين عن بعض الأفكار ، ليس بهدف القضاء على الأمية إطلاقا ، إذ نجدهم يطالبون بإنشاء كرسى لمحو الأمية بالجامعات . يا سلام ! ومطلوب أستاذ كرسى وأستاذ مساعد . . و . . . و . . . . الخ .

لقد أعلن السيد الدكتور محمد محمود رضوان أن مسألة رفع التعليم الإلزامى من سن ١٢ إلى سن ١٥ سنة يكلف الدولة : ٤٠٠ مليون جنيه فى خمس سنوات ، ولكن يوفر على الدولة من هؤلاء الناس (٧٥٠٠) مليون جنيه فى الـ ٣٠ سنة بعدها ، أى أنه استثمار ضرورى جداً يجب ألا نهمله ، فالأمية لها أبعادها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الخطيرة .

طمس التاريخ الوطنى :

فى ليلة من ليالى عام ١٩٧٠ استدعانى العميد فؤاد علام المسئول عن مكافحة الإخوان بالداخلية وجرى حديث قال فيه : « إننا لا يمكن أن ننسى دور الإخوان فى الحركة الوطنية ، وفى القنال ، وفى فلسطين » .

وسواء أكان يريد بهذا استدراجى لأمور أخرى .. أم يقولها صادقا . فإن هذه الحقيقة كانت ولا تزال معروفة . . أما التاريخ الذى كتبه عبد الناصر فتجاهل هذا .. وتجاهل الذين حاصروا القصور الملكية كالأخ المرحوم معروف الحضرى .. والأخوين عبد المنعم عبد الرؤوف وأبو المكارم عبد الحى وكلاهما من الإخوان ، ووراءهما ضباط وصف

ضباط كان جزاء من عرف منهم هو السجن أو الفصل أو هما معاً ..

وتذكر كتب المدارس أن أول رئيس للجمهورية عبد الناصر، ويتجاهل دور محمد نجيب أول رئيس للجمهورية الذى كان مرتديا حلته العسكرية ليلة ٢٣ يولية فى انتظار استدعائه . بينما عبد الناصر وعبد الحكيم بملابس مدنية يرقبان ما يحدث على بعد ٢ كم من مبنى رئاسة الجيش الذى يدور حوله هجوم يوسف صديق بكتيبته . فلما تم اعتقال كبار ضباط الملك ذهب ناصر وعبد الحكيم ليقودا الثورة بعد أن نجت من خطر التضحية . ومجد ناصر ثورة عرابى ثم تنكر لها ولورثته .

قال د. لويس عوض(١): كان من أخطاء ثورة ١٩٥٢ أنها اشتغلت بتحطيم مقومات ثورة ١٩١٩ أكثر من اشتغالها ببناء مقومات ثورة ١٩٥٢ نفسها حتى طمست الفوارق فى عقول أجيالها بين سعد زغلول ومصطفى النحاس من جهة ، وبين محمد محمود وإسماعيل صدقى من جهة أخرى ، وبين العرش من جهة والشارع المصرى من جهة أخرى ، وأذابت الفوارق بين الرجعية والتقدمية ، فبدت ثلاثون عاما كاملة من كفاح الشعب المصرى العظيم من أجل الاستقلال الوطنى والديمقراطية السياسية والاجتماعية ، وكأنها ثلاثون عاما من حكم الإرهاب .

تعقيب :

الدكتور لويس يبسط موضوعا لخصه السادات فى قوله « إن الثورة لم تنشأ من فراغ » ولكن قوله « أذابت الفوارق بين الرجعية والتقدمية »

---

(١) الأهرام فى ١٥ يوليو ١٩٧٥ .

تعبير يقتضى توضيحه : إننا طالما سمعنا هذه الكلمة فى إطلاقات مختلفة فأصبحت الدلالة المحددة لكلمة رجعية مفقودة ، وبعبارة أخرى . كلمة حائرة بين المدلولات ، فليس لها ارتباط بمعنى محدد ، كما أن كلمة التقدمية ليس لها مدلول محدد أهى الشيوعية . أم مجرد الترقى . أم خصوص الارتقاء فى مظاهر المدنية ومحاكاة الغرب وتقليده فى أسلوب الاستمتاع بالحياة . . . الخ .

ومن أسوأ ما يبتلى به شعب ألا تكون الكلمات فيه معينة الدلالة ، ومحددة المقصود منها . وقد ابتليت مصر بهذا عندما مارست أساليب المفاوضات والمعاهدات مع المحتل ، تلك المعاهدات ذات الألفاظ المطاطة أو ذات الوجوه المتعددة التى تتيح لساسة الإنجليز أن يتملصوا من تبعة ما قالوا عند اللزوم . وازداد هذا اللون من الكلام عندما حكمت الناصرية مصر بأجهزة التصنت والحكم بالشبهات .

نكسة العلم فى بلادنا :

قال الدكتور إبراهيم عبده : « فى عهد الفراعنة كان المهندسون والكيميائيون والأطباء والحكماء ورجال الدين وكبار القادة ، وغيرهم من الصفوة يستمتعون بحظوة ملحوظة ، ويجدون الأمان والطمأنينة فى حياتهم الخاصة والعامة ويلقون من فرعون كل صنوف الرعاية ، ويحاطون فى كل مكان بالتوقير والتكريم .

وفى عهد الرئيس عبد الناصر كان مصير كل هؤلاء غير مصير أجدادهم رعايا الفراعين، منهم من هاجر إلى أوربا واستراليا والأمريكتين لينجو من عذاب الإرهاب والتحقير ، وأصبح علماً فى البلد الذى هاجر إليه ، بل أصبح بعضهم أعلاماً عالميين ، ومنهم — كما هو معلوم —

من نزل السجون والمعتقلات ، ولقى فيهما هولا مما ينتظره الكفرة والملحدون يوم تنصب الموازين .

ومنهم من قبل المهانة ورضي الهوان ، ونافق أحيانا — إن لم يكن حفاظاً على لقمة العيش وحماية الأولاد من التشريد — فدرءاً لما قد يحيق به من عذاب كما حاق بغيره من الزملاء الساخطين(١) .

هذا فضلا عما أحرق وأعدم من مكتبات الإخوان ومؤلفاتهم العلمية فقد فقدت أنا شخصياً نحو ثلاثين من مؤلفاتى المخطوطة فى اعتقالات ١٩٥٤ و ٦٥ — وأمثالى كثيرون .. وكانت فترة الحجب وراء الأسوار حجباً لنا عن مزيد من التأليف لأمتنا الجريحة .

قال الأستاذ الدكتور كامل منصور أستاذ علم الحيوان بكلية العلوم بجامعة عين شمس(٢) :

« شهدت الأشهر الأخيرة عدة اجتماعات ومؤتمرات رسمية بعضها على نطاق دولى لبحث كيفية تخطيط وإدارة السياسات العلمية ، وكان آخرها مؤتمر أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجى « الدورة الثانية » .

ولكن الشيء المخجل والمحزن أنه فى إحدى هذه الندوات ، والتى اشترك فيها علماء مصريون مع ممثلى الأكاديمية القومية للعلوم بأمريكا ، انتهت الحلقة إلى أن مصر لا يتوافر فيها فى الوقت الحاضر سياسة علمية قومية معلنة رسميا .

وخلصت هذه الندوة أيضاً إلى أنه فى غياب هذه السياسة المعلنة

---

(١) تاريخ بلا وثائق ص٤٥—٤٦ .

(٢) الأخبار فى ٦—٨—١٩٧٥ .

فإن الهيئات العلمية المختلفة التى أسستها الدولة تكون أركانا لسياسة غير مباشرة وغير معلنة .

ولا شك أنه من المؤسف أن يقرر عنها مثل هذا القرار بعد عشرين عاما قضيناها فى محاولات تخطيط وسياسة علمية محددة .

لقد بدأنا التخطيط للتعليم منذ عام ١٩٥٦ فى المجلس الأعلى للعلوم ، ثم وزارة البحث العلمى ، ثم أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا ، ثم إلى وزارة التعليم العالى والبحث العلمى ، ثم أخيرا منذ أشهر قليلة إلى وزارة البحث العلمى والطاقة الذرية .

وفى رأيى أن السبب فى عدم جدوى جميع محاولاتنا لعلاج هذا الفشل يرجع إلى عدم فهمنا للمعنى الحقيقى للعلم ، وقصورنا عن إدراك الهدف الحقيقى من شعار « العلم للمجتمع » .

والواقع أن نكسة العلم فى بلادنا جاءت من أننا قصرنا كل اهتمامنا تقريبا على ما أطلقنا عليه « العلم التطبيقى » ، إذ ليس هناك إطلاقا ما يمكن أن يشار إليه كعلم تطبيقى ، وكل ما يمكن أن يقال فى هذا الصدد أن هناك علما وتطبيقا لهذا العلم .

وقال الدكتور خليل مصطفى الديوانى[1] : إن التعليم يمر بأزمة شديدة سببها الرئيسى أننا جميعا نتجه إلى الجامعات المصب الأوحد لكل روافد التعليم الثانوى . . فانهالت الأعداد الغفيرة عليها حتى أنك تسمع للطلبة داخل المدرجات ـ هديراً كالشلال . لا يهدأ ولا يعتدل مساره ، فلا يحس الطالب أنه فى مكان علم مقدس يتلقاه

(١) الأخبار فى ٢٨-١-١٩٧٧ .

من أب يحترمه ويجله ، وهو فى الغالب سوف يلجأ إلى المذكرات أو الدروس الخصوصية ، وفى الحال الأولى لن يحس بالحاجة إلى أستاذه ، وفى الثانية سوف يسترخص أستاذه وتهتز أمامه قيم كان فى حاجة إليها ليتسلح بها فى حياته العامة المقبلة .

فعلى الوزارة أن تشق قنوات أخرى هى معاهد التعليم الصناعى فالصانع الماهر يتقاضى أضعاف مرتب خريج الجامعة . ولدينا خمس برامج إذاعية ترسل ٦٢ ساعة منها أربعة للعلم عليها أن تجعل أربعة للترفيه والباقى للتعليم والتربية والأنباء .

ضياع اللغة العربية[١] :

« لقد عاشت العربية مسجونة سنوات طويلة ، وكأنها مسجون سياسى . قد انتعشت فى ظل الحرية وانتكست فى ظل الاستبداد ، ويكفى أن تجد الآن بعض خريجى الجامعات لا يستطيعون أن يكتبوا خطابا دون أن يخلو من أخطاء فى اللغة ، يكفى أن تسمع للمذيعين والمذيعات لتعرف أن أغلبنا أصبح يتكلم بلغة « الخواجات » .

الديمقراطية هى التى تلد الخطباء الفصحاء ، والكتاب البلغاء ، والشعراء المبدعين ، والحوار السياسى هو الذى أظهر مصطفى كامل وسعد زغلول ومكرم عبيد وكتاب مصر . وهو الذى جعل يوسف وهبي يمثل أغلب مسرحياته باللغة العربية الفصحى .

وهو الذى جعل أم كلثوم وعبد الوهاب يتغنيان بقصائد شوقى ،

---

(١) أخبار اليوم فى ٢٨ يونية ١٩٧٧ – مصطفى أمين .

وأصبحت تسمع الفلاح فى « الغيط » يغنى « سلوا قلبى » ؛ بعد أن كان كان يغنى « إرخى الستارة اللى فى ريحنا » .

انحطت اللغة العربية عندما قيدت الأقلام ، وتحولت الصحافة إلى « حصة إملاء » : الحاكم يملى والكتاب يكتبون ، وانحطت اللغة العربية عندما ارتجفت الكلمات من الرعب فى الأقلام ، وأصبحنا نتغزل فى الحاكم بعد أن كنا نتعبد لله ، وانحطت اللغة العربية عندما أصبحت البلاغة هى إبلاغ الشعب بما يريد الحاكم ، بعد أن كانت البلاغة هى إبلاغ الحاكم بما يريده الشعب .

كانت مصر – ممثلة فى الأزهر وفى صحفها وفى برلمانها وفى كتابها وشعرائها وكتبها . ومطربيها وممثليها – هى حارسة اللغة العربية ، وكان القرآن هو قلعة اللغة العربية ، ثم جاء زمان أصبح حفظ الميثاق هو المطلوب . وحفظ القرآن هو الذى يؤدى إلى السجن . وأصبحت البلاغة هى السب والشتم وفرش الملاية وترديد الشعارات التى لامعنى لها.

انحطاط الأدب فى العهد الناصرى :

يقول الأستاذ نجيب محفوظ فى تحقيق صحفى معه[1] : والأدب هو الآخر مثل الفكر ، والعلم يستمد منابع حياته من الحرية ، وأى قيد يوقف حياة الخلق والإبداع ، وكانت النتيجة أن الكثيرين من الأدباء والمفكرين توقفوا عن الكتابة ، أو يكتبون ما يرضى السلطة ، أو يلجأون إلى طرق التحايل للتعبير ، مثل هذا الجو المقبض لا أتصور أبداً أن يضمن ازدهاراً حقيقيا لفن من الفنون أو لعلم من العلوم ،

(١) روز اليوسف فى ٢٥-٤-١٩٧٧ تحت عنوان : نجيب محفوظ (العقل العربى . . . سلبى ! . ومراكز القوى الأدبية تفرض نفسها) .

ولعل ذلك يفسر عملية النشر فى الخارج والهجرة الفكرية ، وأنا أعتقد أن الأدب عموماً فى الفترة التى كانت قبل الثورة ، أفضل وأكثر ازدهاراً من الفترة التى أعقبت الثورة بالرغم من حصول الأدباء على الأوسمة والجوائز والنياشين . . !

ولكن (حافظ إبراهيم) عاش طول حياته مشرداً ومع ذلك كتب شعراً عظيما من غير جوائز أو نياشين أو يحزنون! إنما كان فيه قدر من الحرية، والحرية أهم للفن والأدب من كل النياشين والأوسمة والجوائز .

نريد أن نعرف مدى انعكاس أزمة الفكر على أعمالك الروائية ؟ :

قبل الثورة كنت أكتب بحرية كاملة ، لوجود قدر كبير من الحرية ، كما أننى كنت مغمورا فحتى لو كتبت رواية فيها شئ يؤاخذ عليه فكانت تمر .

وبعد الثورة ساعدنى على الكتابة أننى أنتمى – ولا أزال – للثورة ، ولم أكن يوماً من أعدائها ، وهذا الانتماء أعطانى شجاعة من الداخل . لأنه أشعرنى بأننى لست متهماً (!!) ، ومع ذلك اضطررت فى أحوال كثيرة – كما هو معروف – أن ألجأ إلى الحيل الأدبية حتى يمر ما ما أريد أن أقوله .

أدب الحصـــار :

ويقول الأستاذ فتحى سلامة : إن الأدب وبخاصة الأدب الإبداعى الذى أفرزته الفترة من ١٩٥٤– إلى ١٩٧١ فى أشد الحاجة إلى دراسة متخصصة . فقد اتصف الأدب الإبداعى فى أثناء تلك الفترة بصفات خاصة تؤهله لأن يكون وحدة متكاملة تستحق معاناة البحث ، لأنها ولدت فى بؤرة الحصار ، وأحيط بها دائرة المثلث المتكامل الأضلاع

---

(١) نفس العدد السابق .   (٢) الأهرام فى ١٢–٥–١٩٧٧ .

(قلةو نضوب المنبع — وأزمةالعطاء — وأخيرا الشكالعامعندالقراءفيمايكتب).

هذه الدائرة المحكمة التى جعلت الأديب محصورا داخل دائرة مغلقة لا يجد المنبع الذى ينهل منه ، ثم حتى لو كان لديه العطاء الأدبى الذى يريد أن يدفعه إلى الناس لم يجد لذلك مكانا ، وحتى إذا وجد المكان ، لم تصدقه الناس وأعرضت عنه لأن الكلمة (وهى أداته الوحيدة) فقدت مدلولها الحقيقى . والحصار الذى فرض على الأديب كان يتمثل فى الأمور التالية .

أولا : الحصار المكانى ، حيث لم يتوفر لمعظمهم ، إن لم يكن لأغلبهم السفر والترحال والتنقل إلى مختلف البلدان ، وبالتالى لم تتح له فرصة الاحتكاك الثقافى والفكرى حيث يتمكن الأديب من الاستفادة الفكرية بأن يرى مثيله فى الدول الأخرى كيف يقرأ ، وماذا يقرأ ، وكيف يكتب . وماذا يكتب ، إلى آخر هذه الأمور التى تساعد الأديب المصرى على ملاحقة عصره ولكن للأسف حرم من هذا .

ثانيا : إذا كان السفر هو الانتقال من مكان إلى آخر ، كان الاطلاع على أحدث ما نشر من الكتب يعتبر هو الآخر سفراً فكريا وانتقالا من (فكر محلى إلى فكر عالمى) ، ولكن — كما فرض الحصار المكانى فرض أيضا الحصار الثقافى ، وحرم الأديب من فرصة الاطلاع على الأحداث من كتب الإبداع الأدبى ، ولم توفر له المكتبات كتب زملائه من أدباء العالم — وفى تلك الفترة تم وضع حصار كامل حول ورود الكتب حتى الكتب العلمية ، وانقطعنا عن عالم الأدب فى عوالمه المختلفة عنا .

ثالثا : الحصار اللغوى : وهو أقصى أنواع الحصار الثلاثة ، حيث تم حصار الكلمة ، وأصبحت تعنى أشياء غير محددة . . لها مفهوم

سياسى أو مدلول أيديولوجى ، وأضيف إلى الكلمة الواحدة أكثر من اشتقاق ، جعلها تبدو مستهجنة وغريبة ، ومع ذلك فهى مقررة ولا مفر من استخدامها ، فالكلمة التى ينطقها القائد الواحد ، يرددها كل الكتاب ، الويل لمن يضيف عليها أو ينقص منها فهو لن يضمن النطق بها ، والخوف عدو الإبداع ، والخوف من الكلمة وعلى الكلمة يقتلها ، بجعلها وشم السحر كما يجعلها رسم السبع على جدران بيت الحاج العائد إلى قريته . الكلمة الواحدة ، تعنى سيادة الفكر الواحد ، الفكر الآمر ، لا الفكر المحاور الذى تثريه المحاورة وتثرى -بالتالى- لغته (انظر خطب الزعماء وأعضاء مجلس النواب)، لأن سيادة الفكر الواحد تحاصر التفكير اللغوى وتمنع تطوره ، وبالتالى يحاصر الأديب داخل نفسه .

هذه النقاط الثلاث ، فى النهاية ، شكلت مناخاً اجتماعيا وفكريا ونفسياً للحركة الأدبية خلال الفترة من ١٩٥٤ إلى ١٩٧١ ، وحرمته فى النهاية من المعاصرة ، ربما تكون قد أفادته لأنه صنع نفسه بنفسه واخترق طريقا جديدا وفقا لظروفه، ولكنها - وهذا أكثر فداحة ، حرمته من التطور وبالتالى القيادة ، جعلته تابعا ومقوداً بدلا من أن يكون قائداً لفكر أمته ومتبوعاً .

الفكر الواحد - هو فكر الحرس المخصوص ، أو ما نطلق عليه فى العامية (الشلة) والشلة، هى التى تحمى وهى التى تأمر ، وتكتب، وتقيم وتفرض الكتب الجديدة التى تختارها بنفسها ، وهى التى حرمت الكتاب المصرى من سوقه الطبيعية فى البلاد العربية والإسلامية بقرار وزارى ، وبذلك تكون قد حرمت الكتاب مباعاً فى الخارج ومشترى فى الداخل .

والشلة أيضا ، هى التى تدفع بالأسماء إلى الظهور ، وتمسح عنها الغبار وتطليها وتلونها ، وهى التى أيضا تخسف بأسماء أخرى .

ومع هذا ، رغم كل الجهود لم يصل أديب إلى القمة فى هذه الفترة ، ومن أبناء تلك الفترة ، والذين ظلوا فى القمة هم هؤلاء الذين بلغوها من قبل ، فلا تستطيع تلك الفترة أن تفخر بأنها صنعت أديبا ومفكراً وصعدت به إلى القمة ، فى نفس الوقت الذى حرمت فيه جيلا كاملا من شق طريقه إلى الناس .

بالإضافة إلى حالة الحصار هذه التى وقع فيها الأدباء . هناك حالة الإهمال إهمال دورهم الحقيقى فى القيادة الفكرية — فماذا كان أمام الأدباء وبخاصة هؤلاء الذين كان يطلق عليهم — دائما — الأدباء الشبان ، أن يفعلوا ، أن يندفعوا إلى عوالم مجهولة — يسبحون فى بحار الظلمة على قدر ما تتحمل طاقتهم ، فيأتى إبداعهم معبراً عن معاناتهم وتبدو قصصهم مليئة بالوحشة والغرابة والغربة ، ويذهب شعرهم حيث غريب اللفظ ومهجور الكلمات وحيث — وهذا هو الأهم — غموض المعنى (الفستق الأخضر المحروق بنور — عشق . .) إلى آخر هذه التعبيرات ، ويمكن الرجوع إلى القصائد المنشورة من (١٩٦٥ إلى ٧١)بالتحديد، بالإضافة إلى التطبيق الصارم الشكاك فى كل ما يكتبه الأدباء . فإن الأدباء لابد وأن يحاربوا هذا الشك بأساليب تختلف باختلاف استجاباتهم ، ولكن فى النهاية يسيطر هذا الرقيب الشكاك المذعور على ما بقى من نتاج أدبى استطاع أن يفلت من ألوان الحصار السابقة . وينحرف — بالتالى — الأدب ليسلك طرقاً أخرى أبعد كثيرا عن طريق القيادة الفكرية والثقافية المرجوة منه ويصبح

(الحاكم) هو الذى يصنع الحركة الأدبية وبالتالى يصنع (القيم) الأدبية .

ولـكن لأن الأدب لايصنعه إلا الأديب والأديب الحر المبدع . . فلا أدب هناك .

الأدب النفعى البذىء :

لقد كان للخوف أثره فى توليد منهج للأديب لم يكن من قبل . منهج يقوم على المهاترة والبذاءة والنفاق ومسالمة السلطة والبعد عن البحوث الجادة، وكما قال السيد أحمد الفقى : لقد كان لنا أدب فى المقالة ، وكان لنا أدب فى الخطاب ، وكان لنا أدب فى النقد ، وكانت صورتنا من كل ذلك زاهية اللون رائعة المعنى ، فلما عصفت بأقلامنا بذاءة المنطق ، وفشت فى نوادينا مظاهر التقليد ، وشابت آراءنا نوازع الغرض ، أفلتت من أفواهنا عبارات التجريح ، وطغت على سلوكنا نقائص الأفعال ، فرأينا بعض الأقلام التى نشأتها المهاد المرفهة تعيش على مسالمة الواقع ، ومصانعة المجتمع .

وهذه الأقلام التى تعيش لنفسها — لا لجنسها — وتطابق فى المعنى بين الأثرة والإيثار ، لا تشارك فى بناء المستقبل ، وإذا انتصبت بين أنامل بعض الأصابع الأكاديمية لتطرح فكراً حول الجامعة مثلا ، هالك منها كلام مرسل حول وقائع فردية وشخصية خلص بها القلم إلى نسخ رسالة الجامعة . ولو أنه قد طالع الناس بتأصيل للمشكلات التى يعيشها تعليمنا الجامعى ، ودلهم على الحلول ، لكان لعمله أثر وقيمة[1]

(١) الأخبار فى ٣٠-٣-١٩٧٧ — السيد أحمد الفقى المحامى.

ويقول الأستاذ محمد عبد الحكيم الخيال : إن ساحة الفكر لم يكن بها إلا أصحاب الأقلام الملتاثة بالتبعية الذين تسببوا فى هزيمة ٥ يونية ٦٧ وصنعوها داخل النفوس، وكرسوها . ثم أحالوها نصراً بقدرة قادر على فن الدجل والتمويه والتخييل[١] .

* * *

(١) الدعوة فى رجب ١٣٩٧ يولية ١٩٧٧ .

الثـــورة والدين

تحت عنوان « نحن شعب متدين » كتبت الأخبار تقول : « التاريخ القريب يؤكد أن هذا التدين الفطرى فى نفوسنا تعرض لكثير من عوامل الهدم ، واجتمعت على إضعافه قوى كثيرة إن لم تستطع إزالته من النفوس فقد استطاعت أن تمحو أثره فى تصرفات الناس ومعاملاتهم وأخلاقهم . وإن الجهود الجبارة التى بذلت فى عناية وتخطيط لمحاربة روح التدين فى نفوس هذا الشعب كثيرة ومتنوعة ، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتى :

١ ــ لقد كان المتدينون هم أول ضحايا ثورتنا المجيدة، وكان الدعاة إلى الله هم أول من فتكت بهم قيادتنا الرشيدة (؟) ، ويكفى أن نذكر من هؤلاء الضحايا الشهيدين عبد القادر عودة ، وسيد قطب رحمهما الله تعالى .

٢ ــ المتدينون هم أول من أدخلوا المعتقلات، وعانوا من ويلات التعذيب فيها ما يشيب من هوله الولدان ، وهم آخر من أخرجوا منها عام ١٩٧٥ بعد ثورة مايو .

٣ ــ إنكم تتحدثون عن زوار الفجر الذين كانو مثار رعب للآمنين . أفلا تذكرون أنه من أجل المتدينين أنشئت فرقة الرعب المشئومة .

٤ ــ ألم يكن رواد البارات والحانات يغدون ويمرحون آمنين

مطمئنين ، بل مبجلين ، فى الوقت الذى كان فيه رواد المساجد مروعين مهددين بالقبض عليهم وإيداعهم المعتقلات والسجون بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله .

الجنة والنــــار :

وفى الاعتصام[1] : وأنت تعلم – يا سيادة الوزير أن عبد الناصر – كما نشر عنه حواريه ومستشاره محمد حسنين هيكل – كان لا يؤمن بالبعث ولا بجنة ولا نار – أى كان لا يؤمن بدين ، كان لا يؤمن بأن الجنة حق والنــــار حق » . . .

أين الاتحاد والنظــام والعمل ؟

أعلن الرئيس محمد نجيب هذا الشعار باسم الثورة ، فإلى أى مدى اقترب الناصريون من هذه المبادئ أو ابتعدوا بعد عزل محمد نجيب وتولى عبد الناصر رئاسة الجمهورية ورئاسة مجلس الثورة ؟

إن الرئيس محمد أنور السادات يشرح ذلك فى قطاع طلاب الجامعة فيقول فى حديثه لمديرى وعمداء كليات الجامعات المصرية يوم ٣٠ يناير ١٩٧٧ : « فى أكتوبر ١٩٣٦ كان يجرى انتخاب اتحاد الطلبة والمتنافسون يتبارون فى الخطابة وفى الإعلان عن مبادئهم ، وكانت الجامعة فى ذلك الوقت ميدانا للأحزاب المتنافسة ، كل حزب له ممثلوه ، حتى وصل الأمر إلى أن الطلبة – داخل الجامعة – حملوا الكرابيج ، وحملوا السكاكين ليعملوا معارك لحساب أحزابهم .

---

(١) الاعتصام فى مارس ١٩٧٧ – ربيع أول ١٣٩٧ وتاريخ بلا وثائق ص ١٣ وص ٤٥ .

هذه هى الصورة التى كان عليها العمل السياسى الذى بدأته الأحزاب فى جامعة القاهرة بالذات ، وهى أقدم الجامعات .

وجاءت ثورة ٢٣ يوليو وحصل فى عام ١٩٥٤ نفس ما كان يحدث أيام الأحزاب : اعتصامات وإضرابات ،وكان من المفروض أن يتغير مفهوم العمل السياسى ، وأن يتطور بعد أن قامت فى البلاد ثورة . وكان من المطلوب أيضا أن تكون هناك نظرة جديدة بالنسبة للجامعات والتعليم الجامعى ، ولكن استمرت قوة الدفع ماشية بالقصور الذاتى كما قلت لكم إلى أن جاءت سنة ١٩٥٤ وحصلت الأحداث التى حصلت نتيجة الممارسة المستمرة لما عانينا منه قبل الثورة .

استمرت هذه الممارسة كما هى إلى أن وصلنا إلى سنة ١٩٦٧ التى كانت فيها النكسة . وقبل هذا تعلمون أنه حصل عمليات تطهير ضمن ما تم فى الدولة من تطهير ، وأقصى بعض الناس ، وطبقت بعض النظم داخل الجامعة . لكن لم يحدث مفهوم جديد للمارسة كما كان يجب أن يكون ، وإنما استمرت العمليات القديمة بعد الثورة ، ولم نقف مع أنفسنا وقفة نقول فيها للمستقبل ولصالح مصر ماذا تكون عليه الجامعة وماذا يكون عليه طالب الجامعة ؟ بل وصلت إلى أكثر من هذا فى وقت مراكز القوى وخاصة فى الستينيات ،كان الطالب فى الجامعة يدخل على العميد بدون استئذان ليكلم وزير الداخلية بدون استئذان ، لأنه على اتصال بوزير الداخلية .

القيم الأساسية المفروض أننا نتعلمها ــ للأسف فى وقت من الأوقات كانت الدولة تعمل على هدمها تماما .

جيل الحقد :

يقول الرئيس السادات : عندما تسلمت الحكم كانت التركة التى تركها عبد الناصر مبهمة . كنت أعرف أن القيم قد ضاعت .. وأن أبشع ما واجهت هو جبل الحقد الذى بناه عبد الناصر على كل المستويات ، حتى على مستوى الأسرة ، حيث كان يمكن للابن أن يتجسس على أبيه أو أخيه كما يحدث فى الأنظمة الفاشية ، وهذا فى تقديرى أقبح ما يمكن أن نصل إليه .

وكانت بداية حكم الثورة غير موفقة ، فبدلا من أن تبدأ بالثقة وتعطى الفرصة إلى أن يثبت العكس ، بدأت بالشك فى كل إنسان إلى أن يثبت العكس وهو الثقة ، وهو نادراً ما يثبت لأسباب كثيرة .. من أجل هذا أوغرت النفوس ضد الثورة »(١) .

فلسفة اللذة يخططها صلاح نصر :(٢)

قال منير حافظ : فلسفة اللذة يسميها صلاح نصر فلسفة السمو أو التسامى . « وملخصها أن الإنسان جسد وعقل وأن العقل لا حدود لقدرته،ولكن الجسد هو الذى يعرقله بمطالبه ونزعاته،وإذا أردنا للعقل أن يتألق فيجب أن نحقق للجسد كل مطالبه ونزعاته،وأن نفعل ذلك بإفراط حتى نرهقه فيخمد سلطانه وينطلق العقل حرا يحقق الإبداع الذى خلق من أجله . وهكذا صاغ صلاح نصر فلسفة خاصة تقود عمليا إلى نفس ما تقود إليه فلسفة المشير الخاصة .

(١) البحث عن الذات ص ٢٨٨ .

(٢) روز اليوسف ١٤ يونيه ٧٦ .

ارفـــع رأسك يا أخى :

وفى حديث لثروت أباظة[2] يقول: «قال جمال عبد الناصر : (إرفع رأسك يا أخى) ، ثم حطم كل رأس فكر فى الارتفاع . أو « فكر » فقط » . .

أما أنا فقابلنى أحد المحامين فى ساحة محكمة مصر الجديدة ، وكان خصما أراد أن يمزح معى فقال فى حديثه لى : أما آن لك أن تطأطئ رأسك ؟ يبدو أن عبد الناصر أقنعك بقوله « ارفع رأسك » لـكى يوضع حبل المشنقـة فى رقبتك ورقبـــة من يرفع رأســـه ليهتف « الموت فى سبيل الله أسمى أمانينا » .

لقد كانت فكاهة غير جيدة قابلتها باشمئزاز ، ولكنها كانت تعبيراً صادقا وقويا عن مكنون الضمير الشعبى .

تخريب نفسية المصرى :

قال الدكتور فؤاد زكريا[1]: ذكرت تخريب التجربة الناصرية لنفس الإنسان المصرى ، وهذه حقيقة كان كل مصرى يعايشها بنفسه حين يتكلم فى بيته لغة معينة ، ويتكلم فى أى مكان عام لغة أخرى ، بل إن اليساريين لو كانوا صرحاء مع أنفسهم لاعترفوا بأنهم كانوا بدورهم يستخدمون هذه اللغة المزدوجة على أوسع نطاق .

وتضيف المجلة قائلة : لقد كانت سنوات الواحات هى ذاتها دليلا حيا على هذا ، فكم من المواطنين كان يستطيع أن يتحمل ذلك العذاب

---

(١) الأخبار فى ١٤-١-١٩٧٦ .

(٢) روز اليوسف ع ٤٥٧ ى ١٤ يوليو ١٩٧٥ .

دون أن تخرب نفسه ، وكم من الذين ظلوا خارج المعتقلات لم يلجم الخوف لسانهم ويلوذوا بالسلبية أو النفاق خوفا من أن يلقوا نفس المصير ؟

إن الكفاح ضد الإمبريالية العالمية ليس غاية فى ذاته ، وإنما هو وسيلة تستهدف آخر الأمر غاية عليا هى النهوض بالإنسان، وإتاحة الفرصة أمامه لـكى يمارس قدراته وملكاته الإبداعية دون قهر أو ظلم .. أما أن يكافح نظام ضد الإمبريالية ويسحق الإنسان فى داخله ، فإنه يكون بذلك قد ناقض نفسه ، وحكم على كفاحه بالإخفاق .

ازدحام المواصلات والتخريب :

يقول محمد مصطفى غنيم[1] : هل يدرك المسؤلون حقاً مدى الخسارة المادية والأدبية والأخلاقية التى تسببها أزمة المواصلات للمواطن المصرى ، بل وللوطن كله ؟ هل يشعر المسئولون حقاً بمدى الشعور بالإذلال والمهانة الذى يمر به كل طالب وعامل وموظف ، سواء أكان من الجنس الخشن أم من الجنس اللطيف وهو ذاهب إلى عمله أو كليته أو عائدا منهما ؟

حرام أن تشحن كل هذه النفوس مع مطلع كل شمس ومغربها بشحنة من السخط تجردها من كل رغبة فى العمل والإنتاج الذى ننادى بزيادته ومضاعفته .

إن الحالة التى وصلت إليها مواصلات القاهرة جعلت من المستحيل

---

(١) الأخبار فى ١٣ -١١-١٩٧٦ .

على طوائف عديدة الخروج من بيوتهم لقضاء أى عمل أو حاجة فى أى ركن من أركان العاصمة .

إنى أدعو خبراء علم النفس والاجتماع إلى دراسة الآثار المحتملة على مستقبل هذه الأمة من جراء إهدار كرامة المواطن المصرى فى مرافق النقل المختلفة ، وتراكم الأحاسيس والمشاعر بالذل والمهانة التى تملأ نفوس الناس وهم ذاهبون إلى أعمالهم التى ينبغى أن يذهبوا إليها وهم فى حالة نفسية صافية ليستطيعوا أن يقدموا لهذا الوطن أقصى ما لديهم من طاقات وقدرات خلاقة .

وقال الرئيس السادات[1] : إحنا محتاجين لإعادة تنظيم كامل النتيجة وأننا حطينا ستار حديدى من حولنا وتصورنا أننا بمعزل عن العـــالم سنأتى بالمعجزات . . وكانت النتيجة أننا استنزفنا استنزافاً كلاملا ليس فقط استنزافاً اقتصاديا وإنما استنزاف معنوى نفسى فى سنين الصمود الرهيبة اللى قعدناها .

ويقول : لاحظت أن أكبر خطأ ارتكب فى حق الإنسان المصرى كان هو زرع الخوف ، فبدلا من أن نبنى الإنسان أصبح كل همنا أن نخيفه ، والخوف هو أخطر ما يهدم كيان الفرد أو الشعب ، فلقد كانت أرزاق الناس كلها ملكاً للحاكم ، إن شاء منح وإن شاء منع ، وكان المنع مصحوباً فى أغلب الأحيان بمصادرة حرية الفرد واعتقاله ، ثم فصل جميع أهله من وظائفهم مع اتخاذ إجراءات ضدهم .

وهكذا تحول الناس إلى « مساخيط » ، وأصبحوا دمى فى أيدى حكامهم يفعلون بهم ما يشاءون ، فلم يعد مسموحاً للناس بالسفر ، أو بأن يقولوا

---

(١) الأهرام فى ١٦-١٠-١٩٧٥ .

كلمة تختلف عما يقوله الحاكم ، وإلا اعتقلوا أو صودروا فى أرزاقهم، ومن هنا ازداد الناس سلبية ، فقد أصبح الأمان لهم أن يسيروا إلى جانب الحائط ، لاشأن لهم بأحد ، ولا بأى شىء يدور حولهم »(١) .

وفى تعليق لطبيب مصرى بجامعة سيراكيوز بالولايات المتحدة الأمريكية : « إن شعبنا قتله الخوف من الداخل ، قبل أن يهزمه العدو من الخارج » .

ناصر والماسونية :

الماسونية جمعية سرية مخربة ، وأصل المعنى لاسمها هو « البناء الحر » . وهى جمعية يهودية إرهابية ذات طقوس مثيرة ، والهدف من نشأتها « إعادة بناء الهيكل » بمساعدة كافة الماسون ، وتسويد اليهود على العالم كله ، وحكمه مرة أخرى بعد بناء الهيكل من أورشليم بالقدس ، ولا يتأتى هذا الهدف إلا بعد هدم الأديان السماوية سوى اليهودية ، عن طريق التنصل منها بدعوى عدم التعصب الدينى ، وفصل الدين عن الدولة . والادعاء بأن الدين خرافة وضلال وخداع والدعوة إلى المادية والتجريبية واللاأدرية والسلمية والاشتراكية

وتعاليم الماسونية — بل المصطلحات وألقاب المناصب — مستمدة من تعاليم (الكابلاة) التقاليد اليهودية . . وهى تبدو فى ثوب الجمعيات الخيرية ، واتخذت شعار الثورة الفرنسية الذى وضعه لها اليهود : (الحرية — الإخاء — المساواة . .) ويمر الماسونى فى مراحل ثلاث :

١ — ابتدائية رمزية : لغير اليهود .

٢ — ملوكية متوسطة :

(١) البحث عن الذات ص ٢٨٩ .

وهى لغير اليهود ، وذلك بعد حصولهم على الدرجة ٣٣ .

٣ – كونية :

وهى التى تضم حكماء اليهود الذين يوجهون المحافل الماسونية .

وقد كان ماركس وإنجلز من ماسوني الدرجة ٣١ .

وعند الانضمام للمحفل يستعمل العقد . وهو ما يرمز إلى عمود النار الذى رافق بنى إسرائيل عند خروجهم من مصر ، ويرمز السيف إلى الجهاد دفاعا عن أورشليم عند بناء الهيكل بعد الرجوع من مسيرة بابل ، كما ترمز الأنوار السبعة إلى السنوات السبع التى بنى فيها هيكل سليمان . أما النجمة السداسية فترمز إلى كوكب الشرق الأعظم (هيكل سليمان نفسه) ، وهى نفس النجمة التى ترمز لإسرائيل .

وما كاد يلمع نجم عبد الناصر حتى أرسل له (المحفل الماسونى الأكبر الوطنى المصرى) بالبرقية التالية :

السيد الرئيس ـ جمال عبد الناصر – القاهرة . .

لقد حققت لنا الثورة العزة والكرامة ، وبعثت بمبادئها السليمة القوية الاستقرار فى جميع نواحى الحياة . وجمعت حولها جميع من يعيشون معنا على أرض هذا الوطن على اختلاف أجناسهم ومعتقداتهم فحق لنا أن نفخر بالثورة وزعيمها وقادتها الأحرار .

والماسونية المصرية إذ تشكر للسيد الرئيس ما شملها من عطف ، تؤكد مناصرتها للثورة ومساهمتها الفعالة معها » . .

الأستاذ طه مخلوف

أستاذ المحفل الأكبر الوطنى

ويلاحظ أن مضمون البرقية هو نفس مضمون ما قيل لماركس وإنجلز فى المجلة الماسونية الألمانية (لاتوانيا) فى العدد الصادر بتاريخ ١٢-٦-١٨٩٤ : «إن الماسونية قد وجدت فى المبادئ الاشتراكية خير عون لها فلا بد لنا من مساندتها » .

ثم أرسل المحفل الماسونى بعد هذا برقية أخرى جاء فيها :

« البناءون الأحرار المجتمعون اليوم بالإسكندرية لمناسبة تثبيت أستاذ المحفل الأكبر الوطنى لمصر والأقطار العربية ، يعربون عن إخلاصهم للثورة وتأييدهم **لقادتهم الأحرار** ، وقد سجلوا هذا الولاء باختيار سيادتكم بالإجماع حاميا أعظم للماسونية المصرية فى مصر والأقطار العربية سائلين المولى . . أن تزدهر الماسونية وترتقى فى ظل حمايتكم العظمى لها » .

وبخبث لا يرجعون الضمير فى كلمة (لقادتهم الأحرار) إلى الثورة فيقولون . إخلاصهم للثورة وتأييدهم لقادتها . بل يأتون بضمير الجماعة الذى يعبر عن قادة (الأحرار البنائين) بأسلوب ملتو .

وقد رد عبد الناصر بما يفيد أن دستور ٥٦ وضع بوحى من تعاليم الماسون فقال :

السيد طه مخلوف أستاذ الماسونية

تحية طيبة . . . وبعد

فأشكر لك أجزل الشكر تهنئتك القلبية ، وثقتك الغالية بالدستور الجديد الذى استلهم من روحك وبكلمتك ، وبفضل إيمانك يعلو وتصبح مواده المرجع والغاية .

جمال عبد الناصر

وتعقب العدالة على هذه الوثائق بعد نشرها قائلة : تلك هى البرقيات المتبادلة بين جمال عبد الناصر واليهودية المستترة نضعها أمام كل عاقل ليحكم لماذا تآمر جمال عبدالناصر على دعاة الإسلام عام ١٩٥٤ وعام ١٩٦٥.

ولنعرف لمـــاذا أمر جمال عبد الناصر الجيش المصرى فى عامى ١٩٥٦ و ١٩٦٧ بالانسحاب من سيناء حتى تحتلها إسرائيل لتقيم الدولة اليهودية الكبرى من النيل إلى الفرات[1] .

الشيوعية اليهودية والناصرية :

أسس اليهودى « شوارتز » فى مصر « الحركة الديمقراطية الشعبية » عام ١٩٤٢ — كما أسس اليهودى (هيكل شفادتس) . منظمة « ألايسكرا » الشيوعية . ثم عندما اطمئنا إلى قيامهما وقدرتهما على الصمود اتحدتا معاً وكونتا « الحركة الديمقراطية للتحرير الوطنى وهى المعروفة باسم « حدتو » الذى يرمز للحروف الأول من كلمات حركة، ديمقراطية ، تحرير ، وطنى) .

ومن قبل ذلك أسس الخواجة « جوزيف روزنشال » الحزب الشيوعى المصرى عام ١٩٢٠ ، كما أسس اليهوديان الروسيان « فيجدور » و « ناداب » عام ١٩٤٢ « الحركة المصرية للتحرير الوطنى » ، ومول هذه الحركة اليهودى الإيطالى الأصل « هنرى كوريل » صاحب بنك كوريل فى مصر ، والملقب بالرفيق « يونس » . كما وجدت منظمات شيوعية أخرى بلغ عددها حتى عام ١٩٥٢ أربع عشرة منظمة . وفى عام ١٩٥٦ دعا الحزب الشيوعى الإيطالى رؤساء هذه المنظمات إلى الاتحاد . وبعد مفاوضات طويلة حددت هذه المنظمات الأهداف المشتركة التى ستعمل لها . ومن الطبيعى أن تكون كلها أهدافا نابعة

(١) العدالة العدد الرابع ديسمبر سنة ١٩٧٧ .

من الاستراتيجية الروسية والإسرائيلية ، وأخيراً اتحدت هذه المنظمات في يناير عام ١٩٥٨ تحت اسم « الحزب الشيوعى المصرى » .

والملاحظ كثرة تأسيس المنظمات الشيوعية فى مصر بعد عام ١٩٤٢ وهو العام التى بدأت فيه الصهيونية تعمل جاهدة لإقامة دولة إسرائيل فى فلسطين[1] ، وأغلقت فيه شعب الإخوان المسلمين فى القنال ثم عموم المملكة المصرية فى ذلك العام .

وقد باركت جميع المنظمات الشيوعية قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ . وأخذت تعتبر الجيوش العربية جيوشا غازية . كما اعتبرت المنظمات الإرهابية اليهودية التى تكون منها فيما بعد جيش إسرائيل — اعتبرتها « جيش التحرير الوطنى الإسرائيلى »،لأن روسيا كانت أول من اعترف بإسرائيل ، ثم تبعتها أمريكا ، وعملت روسيا ما فى وسعها لمد الدولة الوليدة بالسلاح والعتاد والقوة البشرية ،بينما أمريكاتمدها بالمــال والتأييد الدبلوماسى .

كتب السيد « أحمد زين العابدين » قطب اليسار السودانى فى مجلة النداء السودانية عن منظمة (حدتو) فقال : « إن الخواجة « هنرى كوريل » يهودى يملك بنك كوريل فى القاهرة ، وهو المعلم والممول الأكبر لهذه الحركة . وقد اتخذت هذه الحركة قرارا بالدعوة إلى تقسيم فلسطين قبل قرار الأمم المتحدة بعامين ، ثم جاءتها الأوامر من موسكو بالاتحاد مع حركة ماركسية أخرى يتزعمها يهودى آخر اسمه الخواجة « شوارتز » .

---

(١) الدعوة فى يونيه ١٩٧٧ — رجب ١٩٧٧ بحث عن « التاريخ السرى للشيوعية فى مصر » لنبيه عبد ربه .

وقد استطاعت الحركة الناصرية أن تضم رجال هاتين الحركتين وتسلمهم زعامة فروع كبيرة فى الاتحاد الاشتراكى » .

ما استراتيجية الشيوعية الصهيونية ؟

الشيوعيون فى مصر والعالم العربى ذيل لروسيا والصهيونية. فهم أداة لخدمة الاستراتيجية اليهودية التى تتلخص فى اتفاق أمريكى روسى على إضعاف العرب وبخاصة مصر وتقوية إسرائيل لفرض صلح على العرب « وإضعاف العرب يقتضى مهاجمة عناصر القوة فى كيانهم ، ولهذا كان لابد أن يهاجم الإسلام الحركى فى مصر ، وتحطم الجبهة الداخلية فيها ، وتقييد القوة العسكرية للشعب المصرى » .

ويوزع الدور: فأمريكا عليها المــال والسلاح والعتاد وصنع الانقلابات الداخلية — وروسيا تظهر بدور الصديق فتفرض على مصر قروضا تعجزها عن الحركة ، وإذا احتاجت السلاح أعطتها سلاحا للدفاع المقيد بعدم استخدامه ضد إسرائيل . لأن العتاد وقطع الغيار فى روسيا وبهذا تضطر مصر لقبول الصلح مع إسرائيل ، ويكون الاستقرار — فى نظرهم — إذا كان جيران إسرائيل ممن يرتضون بإخلاص وجودها ، وهم الشيوعيون الناصريون وأمثالهم من الغرب فى المنطقة .

التمكين للشيوعية وثماره المرة :

يقول الأستاذ فايز عبد المجيد[1] « فى الستينيات كان الشيوعيون فى كل مكان يجهرون بعدائهم للدين ، ويعلنون فى كل مكان بأن إرساء الاشتراكية العلمية وتحقيق الثورة التقدمية لن تكون إلا بعد التحلل من رباط الدين .

---

(١) السياسى فى ١-٣-١٩٧٧

وفى هذه الآونة أيضا كان للشيوعيين المصريين مع نظام الحكم الناصرى صولات وجولات تمكنوا خلالها من إرساء ونشر دعائمهم ، وتوطيد أقدامهم مستعينين فى كل ذلك بالمساندة المطلقة من الاتحاد السوفيتى ، حتى وصلت هذه المساندة إلى درجة التدخل فى شئون مصر الداخلية ، ونشر الدعوة الماركسية من خلال سيطرتهم على أجهزة الإعلام والصحافة ، والقضاء على الإخوان المسلمين باعتقالهم وتعذيبهم فى السجون ظلما » .

« بل وصل الأمر فى عام ١٩٦٥ – عام محاكمات الإخوان – إلى أن قال لى بعض المواطنين : إنهم يخافون من الذهاب إلى المسجد ، وأصبح من كان يطلق لحيته بين نارين : إما أن يختفى فى بيته وهو غير آمن ، أو يحلقها ويظل أيضا غير آمن » .

إن الروس أحرار فى بلادهم ونظامهم وسلوكهم ، ولكن ليس من حقهم أن يتدخلوا فى شئون بلد كان أقصى أمانيهم ألا يعاديهم ، ولكن السياسة البلهاء كادت أن تجعلنا جمهورية من جمهورياتهم ، لا تذوب فيها الفوارق بين الطبقات ، وإنما تذوب عقائدنا وحرياتنا وأخلاقنا . ونصبح عبيداً لقوم الإلحاد هو المادة الأولى فى دستورهم ، ويوزعون الفقر على ٩٥٪ من السكان . أما الخمسة الباقية فهم أعضاء الحزب الشيوعى حسب إحصاء عام ١٩٦٣ . نقلا عن وكالة الأنباء الروسية (نوفوستى) ، إذ كان عدد الشيوعيين عشرة ملايين من مائتى مليون » .

---

(١) من حديث النائب عبد الصمد محمد عبد الصمد للسياسى فى ١-٣-١٩٧٧ .

التآمر الشيوعي على الإخوان :

كانت المؤامرة الأولى عندما تم توزيع منشورات داخل نقابة الصحفيين تهاجم نظام الحكم، عليها طابع الإخوان المسلمين للإساءة إليهم . . وتأكد للإخوان المسلمين أن الشيوعيين وراء تلك المنشورات ورفعت المباحث العامة تقريراً إلى المسئولين تؤكد أن المنشورات ليست من صنع الإخوان المسلمين[1]. وتلاحقت مؤامرات الشيوعيين والدس للإخوان لدى أجهزة الأمن . . أشاعوا أن الإخوان المسلمين أعادوا تنظيم أنفسهم ، وأنهم يحاولون انتخاب رئيس جديد، وأنهم يرشحون للرئاسة ثلاثة : هم منير الدلة وسيد قطب وشخص وهمى اسمه مصطفى الملا وهو غير موجود طبعا .

وكانت أخطر المؤامرات ما وصل إلى علم الإخوان المسلمين من أن الشيوعيين فى مصر — وعلى رأسهم كمال رفعت — يحرضون الحكومة على الإخوان . وأنهم وضعوا فى طريق الرئيس مع شواين لاى أثناء عودته من الإسكندرية مواد ناسفة ، ثم أبلغوا الجهات المسئولة عنها قبل أن تأتى سيارة الرئيس وضيفه ونسبوها إلى الإخوان[2] .

وكان شواين لاى قد جاء لزيارة القاهرة فى يوم ٢٨ يونيو سنة ١٩٦٥ ، وعقد اجتماع قمة ضم الرئيس السابق عبد الناصر وشواين لاى

---

(١) الموتى يتكلمون لسامى جوهر ص ٣٠ و ٣١ — من إقرار أحمد عبد المجيد فى ص ٥٠٧ من ملفات تحقيق القضية رقم ١٢ لسنة ١٩٦٥ أمن دولة عليا .

(٢) بند ١٠٤ من إقرار الشهيد عبد الفتاح إسماعيل ص ٣٢٦ من ملفات التحقيق فى نفس القضية .

وأيوب خان رئيس باكستان سابقاً، وأحمد سوكارنو رئيس إندونيسيا سابقاً .

وكان من هذه المؤامرات ما قدمه الشيوعيون فى مجلس الأمة أو المباحث العامة من تفسيرات لكتاب « معالم على الطريق » لسيد قطب ، وكانت الحكومة قد أباحت طبعه وتوزيعه ، ولـكن بعد التفسيرات التى قدموها له أمر بجمع الكتاب ، وكانت التفسيرات التى قدموها للرئيس للاستناد إلى أن الإخوان المسلمين يتآمرون عليه كثيرا . قدمها سمير ناجى وكيل نيابة أمن الدولة بعد أن تمت الاعتقالات فى محضر محرر يوم ٣١ يناير سنة ١٩٦٦ ، وقدم هذه التفسيرات كذلك نيابة عن اللجنة التشريعية لمجلس الأمة . النائب المستشار محمد عطيه إسماعيل رئيس اللجنة وأحد المحامين الذين تخصصوا فى الدفاع عن الشيوعية والشيوعيين ، وقرأها على المجلس فى جلسة ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٦٥ مطالبا بالضرب بيد من حديد، ونصب المشانق للإخوان المسلمين المتهمين بمحاولة اغتيال الرئيس ونوابه ، وقام لتأييده من الأعضاء محمد حافظ سليمان ثم الشيخ ماهر إسماعيل ، ثم فريد أبوحشيش ، ثم الشيخ مصطفى جامع الرفاعى بصفته متصوفا ، ثم نوال عامر ، ثم أحمد يونس المتهم بالتلاعب فى أجور عمال التراحيل والاتحاد الزراعى والتعاونى ، ثم أحمد سعيد مدير صوت العرب الذى فاجأ المجلس بمطالبته أن يعم القرار كل المتآمرين . الرجعيين والإخوان والشيوعيين ، ففتح الفرصة للنائب أحمد القصبى فقام يطالب بالإفراج عن المعتقلين الذين لا تهمة لهم من الإخوان . . فأغلق باب المناقشة اكتفاء بالتصويت على قرار قانون بمحاكمة الإخوان أمام محكمة عسكرية خاصة ، لا أمام القضاء العام .

تجهيز الاتهام حتى قبل التحقيق :

يقول الأستاذ سامى جوهر[1] : « وتمر الأيام وتتضح الحقيقة ويتبين أن تقرير اللجنة تضمن الاتهامات قبل أن يتم سؤال المتهمين فى النيابة العامة . ومن هنا تتضح الحقيقة أن العملية كلها كانت مدبرة للإطاحة بالإخوان المسلمين تلبية لرغبة السوفييت وعملائهم من أعوان الحاكم السابق الذين فسروا له ما جاء فى الكتاب على أنه محاولات لإثارة الرأى العام ضد حكمه .

وقد جاء تقرير اللجنة بما تضمنه من ادعاءات قبل التحقيق مع سيد قطب نفسه ، والثابت من الأوراق أن أول تحقيق أجرى معه كان بتاريخ الأحد ١٩ ديسمبر ١٩٦٥ – أى بعد أن وضعت اللجنة التشريعية تقريرها بخمسة أيام . ومن الغريب أن المجلس كان يستمع إلى تقرير اللجنة . وفى نفس الوقت فى يوم ٢٠ ديسمبر ١٩٦٥ كان صلاح نصار رئيس نيابة أمن الدولة مازال يواصل الاستماع إلى أقوال سيد قطب .

ومما ساعد على نجاح الشيوعيين فى دسائسهم شعور عبد الناصر بأنه لم يبق أحد رفض أن يعيش للحرية والعدالة الإسلامية إلا الإخوان . فإنه عندما طلب من الإخوان أن يشتركوا معه فى الوزارة . « طلبوا من عبد الناصر ألا ينفرد بإصدار القوانين ، وإنما يجب أن تعرض على ممثلين للشعب لمناقشتها ، لكنه رفض الديمقراطية وتمسك بالدكتاتورية[2]

(١) الموتى يتكلمون : ص ٩٨-٩٩ .

(٢) الموتى يتكلمون : ص ٤٧ الهامش .

. « ومن الغريب أن جهاز المباحث الجنائية العسكرية بدأ عمله بالإطاحة بجماعة الإخوان المسلمين فى أواخر شهر يوليه سنة ١٩٦٥ » .

ألقى القبض على « محمد قطب » ، واحتج شقيقه « سيد قطب » لدى رجال المباحث العامة على الطريقة التى تم بها القبض على شقيقه . . وبعد أيام ألقى القبض على سيد قطب نفسه فى ٩ من أغسطس سنة ١٩٦٥. ثم بدأ القبض على أفراد من جماعة الإخوان المسلمين . . ولم يجد رجال المباحث الجنائية العسكرية ما يوجهونه من اتهامات إليهم ، حتى جاء قرار على عبده العشماوى فى ٢٢ أغسطس ١٩٦٥ ، وإن كان لم يذكر تاريخه . . وامتلأ السجن الحربى بالآلاف من شباب الإخوان المسلمين[١].

بقاء الخطـــر الشيوعى :

ويقول الأستاذ عمر التلمسانى[٢]: « ونقرأ أكثر من مرة — أن مراكز القوى قد أزيلت» . . ولـكن ما زلنا نبيح اليوم لبعض الاتجاهات الفكرية ما لا نبيحه لغيرها من الاتجاهات ؟ أليس الأسلوب هو الأسلوب فى الأصل ، وإن تغاير شيئا ما فى الشكل والمظهر ؟

لقد مكن العهد الماضى للشيوعيين فى كل أجهزة الحكم ، وثبت أنهم يدينون بالولاء لغير وطنهم ، فلماذا يمكن لهم العهد الحالى فى

---

(١) المرجع السابق ص ٥٩ ، ومع ما للشيوعيين من دور فى محنة الإسلام كان للأمريكان والرغبة فى البقاء بكرسى الحكم الذى تطيح به الصهيونية العالمية إذا ما ترك خارج الأسوار أعداؤهم العقائديون وهم الإخوان المسلمون .

(٢) الدعـــوة العدد ١١ ص ١٦ .

مواقعهم بشرعية قانونية تبدو فى شكل أحزاب ومراكز يحترم الحكم وجودها . إن الحكم الماضى إذا مكن لهم ، فإن الأسلوب الحالى يوطد لهم قواعد هذا التمكين ، ويمهد لهم الطريق فى الوصول إلى ما يهدفون إليه ، لقد فتح الحكم الماضى صدره لغير المسلمين ، والتصريحات الرسمية اليوم تتحدث عن سوء سياسة الحكم الماضية . ونكل الحكم الماضى بالمسلمين أشد النكال ، وجاء الحكم الحالى ، واستبشرنا خيرا ، فإذا بالشيوعية حيث رجالها ، وإذا بالإسلام محروم حتى من حماية دعاته ، إذا ما تحركوا فى الدعوة إليه .

لقد عذب الإخوان عذابا لم يعذبه أحد ، ومع هذا فلم يفكر واحد منهم فى أن يمد يدأ بأذى ، لم يحرقوا ولم يدمروا ، ولم يخربوا ، ولم ينهبوا ، بل كانوا الأوفياء لوطنهم ، على حساب أموالهم وأعراضهم ودمائهم ، ومع هذه الشواهد القاطعة بإخلاصهم لبلادهم ، فمايزالون القوم الذين يحال بينهم وبين شرعية الوجود القانونى فى وطن به دستور ؟

أيها الحكام : إنها ليست الجولة الأولى للمفسدين ، ولكنها جولة ستتلوها جولات ؛ لأنهم ما يزالون — حتى اليوم — أصحاب الشأن فى هذا البلد . لقد خططوا وعين المباحث عنهم غافلة ، لقد نفذوا وقبضة الشرطة كانت عنهم لاهية متراخية .

لقد تسربت أنباء رفع الأسعار إليهم قبل نشرها ، فاهتبلوا الفرصة وأججوها نارا حارقة . من الذى أوصل إليهم تلك الأسرار قبل إذاعتها ؟ ألم تكن هذه الأسرار فى معقل الوزراء وكبار المسئولين ؟

فماذا يقول الناس وهم معذورون فى كل إصبع اتهام تشير إلى مكمن السوء والداء .

إن كنتم فى غفلة عما حدث فما أنتم للحكم صالحون ، وإن كنتم على علم فالحال أدهى وأمر ، وكان الله فى عون كل داعية إلى إصلاح وخير .

ما هو الحـــل :

إنها ليست الجولة الأخيرة لهم . والوقاية قائمة فى اليقظة والحزم والحسم والقضاء على العلة قبل أن تستشرى ويعز العلاج . إنها ليست الجولة الأولى ، لأن المحرضين على هذا الفساد ليسوا فى مصر فقط ، ولـكنها دول ، من دونها دول ، تعمل على زعزعة الأمن فى هذا البلد المسلم ، حتى لا تقام فيه أية شعيرة من شعائر الإسلام ، والذين فى مصر وخارج مصر تعرفهم الحكومة تماما . فإن لم تقم بواجبها فسيكون رجال الحكم وقودها وأول ضحاياها .

حصاد الثورة من حربها للإخوان

كتب الدكتور حسن حنفى تحت عنوان : « ماذا خسرنا مع الإخوان» يقول[1] : « والحقيقة أن الإخوان المسلمين لم يقض عليهم . لأنهم جزء أصيل من هذا الشعب فكرا وقاعدة . فالإسلام باق والجماهير موجودة وهما ركيزتا الإخوان المسلمين ، بل إن نشاطهم لم يتوقف علناً أو سراً، وكانت دهشة أجهزة المخابرات عندما تقبض على الكشوف القديمة وتجد من بين معتقليها شبابا فى سن العشرين ولدوا بعد الثورة ، لم يعرفوا نشاط الإخوان المسلمين الذى توقف رسميا منذ أزمة الديمقراطية فى مصر فى مارس ١٩٥٤ ، ومع ذلك فقد خسرت مصر كثيرا بمحاولة السلطة السياسية القضاء على الجماعة ، أو إيقاف نشاطها فى الاثنتين والعشرين سنة الماضية ، وأهم من الخسائر ما يلى :

١ - وقوف التطور الفكرى للجماعة ، وهى خسارة كبيرة على مستوى الفكر الإسلامى الحديث وفكرنا القومى .

٢ - نظراً لغياب التيار الإسلامى الأصيل على مدى العشرين سنة الماضية ، وحضور كل التيارات الفكرية الوارد منها والمحلى الذى تتأصل جذوره فى ثقافات أجنبية ، أو الذى يقوم على التسطيح والهراء . والكلمات المحفوظة والشعارات الرنانة ، وكلاهما لم يفرزا ولم يجندا شعبا - نظرا لهذا الغياب ، لم ينشأ مفكرون إسلاميون يطورون الفكر

---

(١) الجمهورية فى ٢٠ مارس ١٩٧٦ .

الإسلامى[1] ويدفعون حركة الإصلاح الدينى الحديث التى لم تؤت كل ثمارها بعد .

٣ ـ لما كانت الجامعة « بل والمدارس الثانوية والابتدائية قبل الثورة » هى قلب مصر النابض ، ومقياس تطورها الفكرى ونضالها السياسى ، فإن الفكر الإسلامى كما مثلته جماعة الإخوان المسلمين كان هو التيار السائد والرئيسى فى الجامعة المصرية فى أقل من سنتين منذ بداية الثورة . .وحتى أزمة مارس ١٩٥٤ ، وكان يكفى لسماع هتاف « الله أكبر ولله الحمد» حتى يشتعل الحرم الجامعى شبابا وقوة ووحدة وتضحية .

٤ ـ غياب التربية العقائدية للشباب ، فقد كان الإخوان المسلمون يمثلون عطاء إيديولوجيا أمام الشباب يتربى فيه منذ وعيه بالفكر فى المدارس والجامعات .

٥ ـ فى غياب التنوير الدينى يظهر التزمت فى الدين والتعصب له ، فقد كثرت فى العشر السنوات الماضية ، ومنذ الهزيمة ، مظاهر التزمت فى السلوك الدينى والتعصب العقائدى له ، وظهرت الطرح البيضاء(٢) ، وكثر بناء الجوامع ، وقويت أصوات مكبرات الصوت بالآذان .

---

(١) أى يتطورون بالأفكار والأحوال على قواعد الإسلام العظيمة .

(٢) الحقيقة أن الطرح البيضاء لم تجد انتشارها الا بعد الإفراج عن الإخوان وكانت قليلة أيام اعتقالهم ، والكاتب يعنى بالتزمت . الفهم السطحى والتعلق بالقشور دون اللباب والجوهر أما التعصب العقائدى بمعنى انضباط السلوك وتوافقه مع العقيدة فهو مطلوب شرعاً فى نطاق الآية (لا إكراه فى الدين) .

وأضيئت المآذن وكبر للصلوات فى أجهزة الإعلام[1]، وفسرت الهزيمة بأنها كانت لابتعادنا عن الدين ثم جاء النصر وازداد التزمت .

٦ – وفى غياب الصراحة الفكرية والإيمان الصادق يسود النفاق الدينى ويعم الانحلال الخلقى ، فكلنا نبكى الآن على إهدار القيم وضياع الإيمان وفساد الأخلاق ، وكلنا نتحسر على سلوك بعض من فتيات مصر فى المدارس والجامعات ، وعلى دورانهن على الشقق المفروشة نهارا وليلا . . مع إكثارنا من البرامج الدينية ،ورفعنا لشعار العلم والإيمان ، فى حين أن الإخوان المسلمين قد استطاعت تربية النشء فتيانا وفتيات ، وكان الإخوان والأخوات قدوة حسنة للسلوك الإسلامى فى الحياة الخاصة والعامة .

٧ – كانت جماعة الإخوان المسلمين تمثل تيارا أصيلا فى مجتمعنا ، وكانت على وعى بقضايا التراث والتجديد ، وكانت تأخذ مواقف حاسمة بالنسبة للتراث الغربى والتبعية للآخرين . وتقليد مظاهر المدنية الغربية والافتتان بقشور الحضارة ، كما نبه على ذلك الأفغانى و محمد عبده ومحمد إقبال ورشيد رضا وغيرهم من زعماء الإصلاح .

ومنذ توقف نشاط الجماعة والافتتان بالغرب يزداد،والتقليد للآخرين يقوى .

٨ – لقد عرفت مصر بفكرها المعتدل وبفهمها المتوازن للإسلام ،

---

(١) ونسى الكاتب إذاعة القداس للأقليات مما كان القانون يحظره ويعده من التبشير الممنوع فى عهد الاحتلال البريطانى وما قبل العهد الناصرى .

ولكن نشأت في العقد الأخير انحرافات دينية وكثرت الفرق الصوفية ، وقوى سلطان المشعوذين والدجالين باسم الدين ، واشتكى الآباء من ضياع الأبناء في الجماعات الدينية المتطرفة ، وانفتحت طاقة الغيبيات ، الكل ينهل منها ويتطلع إليها ، في حين أن الغيب في علم الله وحده ، ولهذا ينحرف الشباب .

٩ — وإذا كنا نشكو من فراغنا السياسى منذ قيام الثورة التى لم تستطع أن تعطى بديلا عن الأحزاب السياسية والحركات الوطنية التى كانت موجودة قبلها ، والتى اصطدمت الثورة بها وقضت على تنظيماتها فإن هذا الفراغ كانت تملؤه جماعة الإخوان المسلمين .

١٠ — بالقضاء على الإخوان المسلمين ووقف نشاطهم الرسمى قضى على أكبر تجمع إسلامى فى مصر ، أكبر دولة إسلامية ناطقة بالعربية ، وتوقفت إحدى الجرائد الإسلامية الكبرى ، ومنذ ذلك الوقت ومصر كعبة الإسلام وقبلة المسلمين خالية من أى تجمع إسلامى كبير ، بصرف النظر عن الجمعيات الإسلامية الخيرية ، والأندية الرياضية والثقافية ، وجماعات نشر الدعوة ، بل وبصرف النظر عن الجامعات والمعاهد والمدارس الإسلامية ، لم تجد مصر حتى الآن جريدة إسلامية يومية تعبر عن أحد تياراتها الفكرية الأصيلة ، كما لم تجد تجمعا إسلاميا تجد فيه جماهير المسلمين تعبيرا عن نشاطها وتجميعا لجهودها وتوثيقا لأواصر الأخوة بينها . وكيف يوجد ذلك خارج مصر وفى العالم الإسلامى غير الناطق بالعربية ولا يوجد فى مصر بكل ثقلها وتاريخها .

١١ ـ حققت جماعة الإخوان المسلمين قولا وعملا ما أصبح فيما بعد شعارا لسياستنا القومية ، أعنى الوحدة العربية ، فقد كانت الشعب فى الأحياء المختلفة ، كما كان المركز العام مركزا للتجمع العربى ، وكانت الجماعة على مستوى العالم العربى موجودة فى سوريا ، وفى الأردن ، وفى السودان ، وفى الجزائر . .

كما حققت الجماعة أيضا وحدة العـــالم الإسلامى .

كانت مصر وقتئذ قلب نضال العـــالم العربى والإسلامى ، وهو ما نسميه اليوم دول عدم الانحياز ، أو العالم الثالث .

ولقد آن لمصر أن تعيد حساب خسارتها . .

* * *

الفصل السادس

* حول الانسحاب .
* التخريب لميزانية الدولة .
* مسخ شخصيات الوزراء .
* سياسة التأميم .
* الإرهاب والملق السياسى .
* الاتحاد الاشتراكي والرفض الشعبي له .
* سيادة طبقة البروليتاريا .
* ظلم المعلم بين الطبقات .
* رجم الجمرات .
* نظرة الشعب لحركة ٩ و١٠ يونيه .



حكم الإرهـاب :

يقول الرئيس السادات : يجب تحليل الفكاهة فإن لهـا مغزاها . . مثلا : سمعنا النكتة التى تقول : إن جملا خرج هاربا إلى الصحراء الغربية يريد اجتياز الحدود فقيل له : لمـــاذا تهرب من بلدك ؟ قال : لأنهم يعتقلون الحمير ؟ فقالوا ولكنك لست بحمار . فقال : هذا صحيح ولـكن حلنى لمـــا أثبت أنى مش حمار .

حول الانسحاب :

هذا الشعب المصرى يجسد تعبيراته السياسية والاجتماعية فى كلمات قصيرة حادة وواضحة . وحين أعلن الانسحاب غير المنظم . . لم يتهم الشعب جنوده وإنما ألقى بالتبعة على القيادة — لغباء فيها أو خيانة — لم يتبينها ، فقال فى التعبير عن الرتب العالية : « فـكيك أول . وفكيك ثانى » يعنى فريق أول وفريق ثانى .

الانسحاب من سينا عـار :

فى حفل سمر : تكور أحد الشباب على هيئة « ساجد » يمثل دراجة (فسبا) وصاحبها بجوارها يتظاهر بأنه يريد إدارتها ، ويدوس برجله على محرك البنزين ، وتحدث الدراجة صوتا ولا تتحرك ، وبعد معاناة يتوجه صاحبها قائلا : « مالك احنا فسينا واللا إيه ؟ (فسينا) من الفساء . خروج الريح — أو من خروج هواء العجلة لثقب فيها — وهذا تورية عن (فى سينا) .

وقد ظل الشعب يتندر بهاتين الفكاهتين حتى كان يوم ١٠ من رمضان .

التخريب لميزانية الدولة :

أحب أقول لـكم فزورة فهل تسمحوا ؟

قالوا : نعم . نعم .

قال : إشى إشى . خربها ومشى .

صاح الجميع : ناصر . ناصر . ناصر . ناصر .

علاج لـكثرة اللعاب :

ذهب شاب إلى أحـد العرافين الذين يعالجون النـاس علاجا روحيا ونفسيا (بدجلهم طبعا) وقال له : إن والدى يسيل لعابه على صدره كثيرا لدرجة تخجلنى . فقال : سأعمل تميمة يعلقها فيشفى بإذن الله .

وصنع له التميمة وأعطاها للشاب فأخذها وأعطاها والده فعلقها فشفى.

وبدافع حب الاستطلاع فتح الشاب هذا « الحجاب » لمعرفة مابداخله من الأسرار . فلم يجد إلا صورة رأس الناصرية . فذهب إلى الشيخ يسأله عن السبب . فأجاب :

يا بنى : إذا كان دا نشف ريق العالم كله يبقى مش حينشف ريق أبوك ؟ !

مسخ شخصيات الوزراء :

يحكى أن الدكتور حلمى مراد وزير التربية والتعليم كان كثير الاختلاف مع جمال عبد الناصر . فطلب منه أن يقدم استقالته فرفض قائلا : من عينى وزيراً هو الذى يقيلنى . . فأقاله ، ونسج الشعب هذه الظاهرة فى نكتة بارعة فقال :

دخل عبد الناصر المرحاض ثم خرج فقال له حلمى مراد : شفيتم .

فقال ناصر : « عفيتم » .

وهو تعبير عن السياسة المرتجلة التابعة للهوى الشخصى ، والتى ترسم فى غير مقارها الطبيعية .

سياسة التـــأميم :

لم يرض عنها الشعب وعبر عن رفضها بهذه الفكاهة :.

قال الراوى : خرج عبد الناصر مع عبد الحكيم عامر يتنزهان فوجدا بائع ترمس مرحا يغنى . فسأله الرئيس : أنا شايفك مبسوط وبضاعتك كلها لو كانت مكسب ما تجيبش حاجة ، فالزاى عايش كده مبسوط ؟

قال البائع : الحمد لله . عايش بالستر ، رضا ــ ربنا يديم علينا نعمة الستر .

ثم مضى الرئيس مع مشيره وقال : يا عبد الحكيم : لسه فيه إقطـــاع ؟

آدى أغرب إقطاع لم يدركه قانون التأميم والحراسة ؟!

ـ خير يا ريس .

ـ السّر اللى مش مخلى الراجل ده هامو أى حاجة .

ـ خلاص يا ريس نصدر قرار بتأميم السّر .

الإرهاب والملق السياسى :

يروى أن جمال عبد الناصر دخل مع عبد الحكيم عامر إحدى دور السينما متنكرين . وجلسا وسط الشعب أثناء العرض ، وظهرت صورة « ناصر » فى جريدة السينما ، وصفقت الجماهير إلا « ناصر » فلكزه من بجواره قائلا : سقف (يعنى صفق) ياراجل . سقف سقف . مش تودينا فى داهية .

الاتحاد الاشتراكى والرفض الشعبى له :

يروى أن طبيبا أجرى عملية جراحية فى المخ لأحد الأطفال وانقطع التيار الكهربى فانطفأ النور ، وتحسس الطبيب فى الظلام يلتمس مخ الطفل . فوجد قطعة من نعل حذاء قديم (بلغة فى النكتة) فأخذها ظنا منه أنها المخ ، ووضعها فى مكان المخ بالرأس وخاط الجرح . . وعاد التيار وأضاء النور فعرف الطبيب غلطته ، وسكت حتى انصرف المريض مع أهله ، فغادر البلاد مسرعا . . وبعد مدة عاد إلى البلد متنكرا وسأل عن الطفل فقالوا له : عقبال أولادك الولد ، اللى بتسأل عنه كبر وبقى رأس كبيرة فى الاتحاد الاشتراكى .

وأيام مناقشة موضوع الأحزاب ظهرت بأخبار اليوم صورة كاريكاتيرية لحمار بطنه واسعة مكتوب فوقها « الاتحاد الاشتراكى »
وقد كتب تحت الحمار المنفوخ : عاوزين لك علاج . . وموتك أحسن .

فى تسمية الاتحاد الاشتراكى :

– رايح فين يا عبده
– رايح الإلحـــاد الاشراكى (رايح لحاد لاشراكى)
وفى هذه النكتة تعبير عن الانحياز للمفاهيم اليسارية وسيطرتها عليه . وأنه تنظيم نسج أول ما نسج فى غير بلادنا .

سيادة طبقة البروليتاريا :

يراد بهذه النظرية الشيوعية إبعاد السياسيين المثقفين الذين يحكمون طبقا لمبادئ سياسية تمرسوا بها وتوارثوها – عن مواقع السلطة والحكم . ولمـــا كان عبد الناصر ينحدر من أب يعمل طواف بريد . كان الشعب يغنى متهكما : شى يا ابتاع البوسته شى . . حا . يا ابتاع البوسته حا . . وكان فى الإذاعة مقطع غنائى بهذا المعنى فمنع إذاعته . وظل الشعب يتحدث عن حذف هذه الأغنية من البرامج الغنائية . . والشعب وأكثريته هم العمال البسطاء – حين تكون مادة حديث شطب الأغنية من الإذاعة على لسانه ، لا يعنى تحقير العمل ، إنما يعنى احترام الاختصاص والاستعدادات الشخصية أو الطبقية لمـــا خلقت لأجله . .

ويعنى الاحتجاج على تقييد الكلمة وحرية الأغنية غير الماجنة .

ظلم المعلم بين الطبقات :

وقفت عصابة أمام أتوبيس وأنزلت الركاب فرداً فرداً . وكلما نزل راكب سأله رئيس العصابة عن عمله فيخبره . حداد ــ طبيب . مهندس . فيقول لكل واحد : « طلع محفظتك » وجاء الدور على واحد فسأله : ما عملك : قال : مدرس قال الريس : طب خذلك محفظة واتلهى على عينك يا غلبان » .

إنه تعبير عن هبوط مستوى المعلم المادى فى المجتمع ، وبالتالى هبوط المستوى الثقافى والتعليمى . وبالتالى لم يكن غريبا أن يهتف العمال بعد ضرب السنهورى فى مجلس الدولة قائلين : «يسقط المحامين الجهلة » ، يسقط الأفندية الجهلة . . . الخ .

رجم الجمرات وتقييد حرية الحج :

قبل أن يقضى الرئيس السادات على أزمة الثقة بيننا وبين السعودية ، كان الخروج إلى الحج بالقرعة . وبتحديد مبالغ قليلة من العملة الصعبة. فتألم الناس لحرمانهم من الحج ، وأراد من يهمه أمر البلاد تخفيف حدة غضب الشعب فقال للغاضبين الذين لم تأت القرعة لهم :

لماذا تغضبون: أنتم تريدون زيارة النبى . وقدروى فى الآثار: من أحب آل بيتى فبحبهم أحبنى » . وكذلك من زارهم فكأنما زاره عليه الصلاة والسلام . الطواف اذهبوا إلى الحسين فطوفوا حوله ، السعى بين الصفا

والمروة اذهبوا إلى السيدة فكأنما سعيتم وتنالوا المنى . . والرجم اذهبوا قبر عبد الناصر فارجموه وعودوا مغفورا لكم .

وطبعا زيارة القبور والطواف حولها ليس مشروعا . ولا القصد من الحج زيارة قبر النبي . . ولكنها هكذا صيغت النكتة ، والمراد المقطع الأخير منها وتصوير مدى بعد « ناصر » عن الدين وتيسير مناسكه ، ومدى كراهية الشعب لمسلكه نحو تيسير الحج .

نظرة الشعب لحركة ٩ و ١٠ يونيه :

يتردد فى الشارع المصرى فى تصوير خطاب عبد الناصر عقب النكسة الذى أعلن فيه عزل وزير الحربية « شمس بدران » ومحاكمة الذين صنعوا معه النكسة . كما أعلن أنه يتنحى عن الحكم ليتولاه أخوه زكريا محيى الدين رئيس الوزراء ، وكان زكريا قد رفع سعر الأرز من ٤ قروش للكيلو إلى ٩ قروش ، فخرجت المظاهرات تهتف لعبد الناصر قائلة : (كلمة قبيحة) .

؟ ؟ : لا تتنح . . ؟ ؟ لا تتنح .

والتعبير البذئ فى النكتة يعنى شدة السخط على من يراد التهكم به . وقد قيلت عدة عبارات فكاهية — لا أستطيع ولا يطاوعنى قلمى على تسجيلها .. نمسك عنها . . وهى تدل على مدى امتلاء صدور الجماهير بالكراهية للناصرية ولمن تنتسب إليه ، أو يمشى فى ركابه . كما تدل على رواج سوق العهارة وشيوع « العيب » .

يرى المجارى ولا يرى وجهه :

يقال : إن أحد عمال المجارى نزل فى فوهة للمجارى ليصلحها وزميله

فوق الفوهة ، فسمع جلبة وضوضاء . فسأله : فيه حاجة عندك فوق . قال الزميل : دا موكب الرئيس جمال : قال : بلاش قرف . خليك معى أحسن .

وفى ختام حديث الفكاهة أحب أن أقول ما يقوله المثل الشعبي : السلطان هو اللى بيتشتم فى غيابه . . ولو لم يكن جمال عبد الناصر ، شيئا لما نسجت حوله هذه الفكاهات . . والله يشهد أنى لا أريد به السخرية إنما أريد تسجيل التاريخ بوثائقه لعل فيها عبرة وتبصرة .

حتى لا نعبد العجـــل

لا يختلف اثنان فى مصر الآن فى الحكم على تدهور الخدمات والمرافق ومواقع الإنتاج .. مكللا هذا كله بموجة الغلاء الكاسحة التى اجتاحت كل شىء ولم ترحم أحداً .

وإذا كان الاعتراف هو أول درجة فى سلم التطهير انتهاء إلى الخلاص : فعلينا أن نقر بذلك تمهيدا إلى تغيير الاتجاه والطريق والوسيلة .

إن كل الحلول التى تطرح فى الساحة ما هى إلا رتوق تأخذ ألوانها من أمزجة واضعيها : حمراء أو بيضاء أو سوداء . ولـكنها لا تقدم الحل النهائى والشجاع لمشكلاتنا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المتراكمة .

لمـــاذا نصر على التمسك بنظام اقتصادى أثبت عدم صلاحيته وفساده وعجزه عن خدمة الوطن وتقديم النتائج المرجوة منه ؟!

إن نكبة ١٩٤٨ التى وجد فيها لإسرائيل كيان على حساب العرب تعلن خيبة الليبرالية العربية ، فسقطت أنظمتها السياسية الديمقراطية فى المنطقة ، ثم جاءت النظم الاشتراكية التى أعلنت نكبة ١٩٦٧ عن خيبتها أيضا . مما أوجب العودة إلى حل جديد هو الحل الإسلامى .

نحن لا نعبد العجل ، من الخطأ المميت فى حياة الأمم الإصرار على

منهج خاطئ أثبت عدم جدواه عمليـــا . علينا أن نتذرع بالشجاعة ونقوم إلى هذا العجل (فننسفه فى اليم[1] نسفا) .

يجب أن نعترف أن تفتيت الملكيات الزراعية بدعوى الإصلاح الزراعى كان أكبر خطأ فى حق الوطن وحق الفلاح ذاته . . كم يا ترى من الفلاحين فى مصر يمتلكون أقل من خمسة أفدنة ؟! وكم منهم لا يمتلك إلا فدانا واحدا فأقل ؟! أى مستوى معيشى معقول يمكن لهذه المساحة من الأرض أن تحققه لأسرة من متطلبات الحياة وأعباء التعليم والرعاية والمأكل والعلاج . . ؟ ! بل لتطوير إنتاجها وزيادة غلتها . . ؟ !

حتى الجمعيات الزراعية يجب حلها . . تلك الجمعيات التى خلقت بدل (باشا القرية) .

إن هذا النظام المستورد يحمل فى أحشائه الخطأ ولا سبيل لإصلاحه أو ترقيعه ، فالخطأ لا يعالجه إلا الصواب ، ولا يصح إلا الصحيح . .

ولقد أعلن الرئيس السادات أننا لا نعبد أصناما ، بل نادى بالتطوير ونبذ الجامد من الأفكار وتحكم الأمزجة والأهواء التى خلقت لنا (الاشتراكية المزاجية) كما سماها سيادته .

العلم والتخطيط

إن العالم يعيش من حولنا بعقلية الحاسبات الضخمة والتخطيط العلمى فقد زالت الحدود المذهبية والقبلية وحلت محلها الحدود الحضارية ، فلماذا نخنق أنفسنا داخل وهم كبير[2] . .

---

(١) اليم : البحر

(٢) الأخبار ٣١-٨-١٩٧٦ الدكتور فخر الدين أحمد قناوى .

التحرر من التبعية :

إن الإسلام ربينا على الحرية فى أكمل صورها عندما يدعونا إلى التحرر من قيد التبعية لغيرنا فى التشريع السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، ويجعل الوجهة لله الذى فوق البشر جميعا ، إليه نركن ، وبعزته نعتز . إسلامية ربانية . لا شرقية ولا غربية .

إنه يدعونا إلى التجرد من التبعية إلا له سبحانه .

«فالإسلام[1] يقوم على التجرد من التبعية فى الفكر . . والتجرد من التبعية فى المنهج . . والتجرد من التبعية فى القصد . . »

أما التجرد من التبعية فى الفكر . . فلأن الفكر والمبدأ الإسلامى يقوم على « لا إله إلا الله . . محمد رسول الله » .

وأما التجرد من التبعية فى المنهج . . فلأن المنهج والوسيلة فى الإسلام . . هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم **(وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) .**

وأما التجرد من التبعية فى القصد . . فلأن القصد فى الإسلام هو رضوان الله عز وجل .

ولكى يتحقق للمسلم التجرد من التبعية ، نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تلاوة كتب أهل الكتاب أو مطالعتها . .

أتى عمر بن الخطاب النبى صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب . من اليهود فقرأه على النبى صلى الله عليه وسلم ،

(١) الاعتصام ص ١٠ العدد السابع ربيع أول ١٣٩٧ - مارس ٧٧ .

فغضب صلى الله عليه وسلم وقال لعمر : « أتهوكون فيها يا ابن الخطاب ؟ والذى نفسى بيده . . لقد جئتكم بها بيضاء نقية . . لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه ، أو باطل فتصدقونه .. والذى نفسى بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعنى » . ثم لم يكتف النبي صلى الله عليه وسلم بما قاله لعمر ، ولكنه قام صلى الله عليه وسلم خطيبا ليجدد معالم تثقيف المسلم ، ومصادر تعليمه . . فقال : « يا أيها الناس . . إنى قد أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه ، واختصرت لى اختصارا . . وقد أتيتكم بها بيضاء نقية ، فلا تتهوكون ولا يغرنكم المتهوكون » . ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتلك الصحيفة فمحيت حرفا حرفاً .

التوازن بين المادة والروح[1] :

« إن استسلام المجتمع لمظاهر التقدم المادى ، وإغفال جوهر القيم الإنسانية . لا يحقق قيام حضارة حقيقية . بل يحول عملية البناء إلى عملية مادية تقوم بها أعداد من البشر فقد أصحابها ماديتهم . ليتحولوا إلى كم هائل من الأرقام لا روح فيه ولا حياة » .

الحذر من التسلل الشيوعى :

فنى مؤتمر باكو الثانى الذى عقد فى سبتمبر عام ١٩٦٧ بمناسبة العيد الخمسين لثورة أكتوبر الاشتراكية السوفييتية . . أخذ عدد من

---

(١) السياسى فى ٢٠-٣-١٩٧٧ .

زعماء الحركات الشيوعية فى الدول العربية والإسلامية يطالبون بضرورة تعديل جذرى فى مخططات الدعوة الشيوعية .

وصدرت التعليمات من موسكو إلى الأحزاب الشيوعية فى أرجاء العالم بعدم التصدى مرحليا للدين ، وما يمثله من قيم بصورة صريحة ومباشرة . . بل العمل على (تطويعه) وتحطيم مقاومته بأساليب مرنة ملتوية . . كادعاء عدم التعارض بين الدين والماركسية . . فالماركسية تحارب الاستغلال ، والإسلام يحارب الاستغلال . . وهى تقاوم اللا مساواة والإسلام يدين اللا مساواة . . وهى تدعو إلى العدالة ، والإسلام دين العدالة ! ! وفى أثر هذه التوجيهات الجديدة انطلقت أبواق الدعاية الماركسية فى كل أطراف الأرض تدعو إلى هذا الاتجاه .

وفى تمجيد بعض الشخصيات الإسلامية (كعمر بن الخطاب ، وأبى ذر الغفارى) بإبرازهما كرمز (للعمل الثورى الاشتراكى) . . بقصد التغرير بعقول الناس لكى يقتنعوا بالماركسية . .

وهكذا « شهرت » الشيوعية إسلامها ! وأنها تسعى لذات الغاية التى إليها يسعى الإسلام ! !

إذا كانت مبادئ الإسلام عظيمة لهذه الدرجة . . فلماذا تتركون الإسلام ، وتعتنقون الماركسية ؟ !

والواقع أن الشيوعية والإسلام متعارضان . . وأنه على الرغم من تلاقيهما الظاهرى حول بعض المبادئ إلا أنهما خصمان لا يجتمعان . . فمنابعهما مختلفة ، وغايتهما مختلفة . . فالإسلام يرفض المادية كأساس للحياة الإنسانية . . ولا يعترف بصراع الطبقات كمحرك للمجتمعات

البشرية ، ولا يؤمن بالحتمية التاريخية كنهاية للبشرية . فكيف يمكن القول بعد ذلك بتوافقه مع الشيوعية ؟! والتحامه مع مبادئها وغاياتها ؟! هل تستوى ظلمات المادة بنورانية الروح ، ويستوى الصراع الطبقى بمبادىء الحب والإخاء والتعاون ؟ ، وهل يستوى قانون عشوائية التاريخ الذى يحيل الفرد إلى سلبي مع قانون العمل الذى يحيل الفرد إلى إنسان سعيد بالأمل . واثق بالنتائج ؟ (**هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون ؟**) – (**ومايستوى الأعمى والبصير ٠ ولا الظلمات ولا النور ٠ ولا الظل ولا الحرور ٠ وما يستوى الأحياء ولا الأموات . إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور ٠**) **فاطر ١٩ – ٢٢ .**

صلاح الجهاز الحكومى[1] :

يقول الأستاذ عمر التلمسانى :

صلاح الحكم فى أية أمة من الأمم لن يقوم إلا على قاعدة واحدة أثبت التاريخ وأحداثه نفعها وفاعليتها ، هذه القاعدة التى وضع الإسلام معالمها الراسخة : هى حسن الصلة بين الجهاز الحكومى وبين الشعب ، ولا يكفى فى هذه القاعدة السليمة أن يكون الحاكم وحده حسن الصلة مع الشعب ، بل لابد أن يكون الجهاز الحكومى كله ، حسن الصلة مع أفراد الأمة الذين يتصلون به مباشرة .

وإذا لم نستطع – تمشيا مع طبيعة البشر – أن نجعل الجهاز الحكومى كذلك ، فلا أقل من أن تكون بطانة الحاكم والوزراء ورؤساء الأجهزة على نمط واحد من الإيمان والأمانة والتوافق فى العقيدة والخلق والتصرفات

(١) مجلة الدعوة عدد ابريل ١٩٧٧ – جمادى الأولى ١٣٩٧ .

(يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ، ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفى صدورهم أكبر).

ولقد أثبت « الواقع التاريخى » نجاح هذه القاعدة الربانية حتى فى الدول غير المسلمة .

ألا ترى كيف يتعلق الشعب بحاكمه وجهازه الإدارى فى الدول التى يسودها الأمن والهدوء والاستقرار . ومن قبل هؤلاء وهؤلاء ، كانت العلاقة بين صالحى حكام المسلمين وشعوبهم ينتظمها هذا المعنى الكريم .

إن عمر بن الخطاب يعتبر نفسه مسئولا أمام الله . إذا ما عثرت بغلة فى العراق لم يسو لها الطريق كيلا تتعثر . ويقول الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لو قصدت(برك الغماد) لقصدناه معك . ولئن خضت البحر لخضناه على أثرك ؟؟

فهل نحن اليوم كذلك ؟؟ ينادى رئيس الدولة برغبته فى الإصلاح ، والغالبية الكبرى من رؤساء الأجهزة الحكومية يعملون ، وبإصرار ، على إفساد ما يدعو إليه .

هذه السيارات الفارهة ، والحياة الرفهة ، والمظاهر التى يرفلون فى بهرجها هل تتفق مع ذاك النداء ؟

أجهزة الإعلام على مختلف أنواعها ، هل تعين الحاكم على رغبته ، أم أنها تحطم — وبإصرار ودهاء — ما يسمعه الشعب من نداء ؟؟

هذه الوعود الخادعة التى لم تبرأ منها وزارة من الوزارات تعين

على تصديق ما نسمع ، أم أنها تزيد الشعب ضيقا على ضيقه ، وعدم تصديق لكل ما يقال ؟؟

هذه السرقات والاختلاسات التى تصل إلى أعلى المستويات هل تتمشى فعلا مع الرغبة فى الإصلاح ، ومدعمات الرغبة فيه ؟

ونقرأ ــ وأكثر من مرة ــ أن العهد الحالى ورث من سابقه تركة مثقلة سياسيا واقتصاديا وعسكريا وخلقيا ، ونقرأ وأكثر من مرة ، أن مراكز القوى قد أزيلت ، وأن حواجز الخوف قد أزيحت ، وأن عدم الاطمئنان قد قضى عليه ، وفى نفس الوقت ، ومن نفس المصدر نقرأ ثناء مستطابا على من كان يتولى الأمر فى الحكم ، الحكم الذى خلف لنا هذه التركة المتعفنة ذات التحلل والأحقاد . . فكيف إذن يمكن أن يطمئن الناس وينجوا من الحيرة . التى يوقعهم فيها هذا التضارب فى التصريحات ؟؟

إن الشعب يعانى حقاً وما نراه الآن ، هو من نتاج الحكم الفائت ، فلماذا لا نسلك طريقا غير طريقه ؟!

كان الشعب يعانى من عدم المساواة بين أفراده ، لأن الحكم قام على قاعدة الولاء للأشخاص من قبل الكفاءة والأمانة .

يا رئيس الدولة : مسئوليتك أمام الله خطيرة فى اختيار أعوانك ، ولن يصدقك منهم إلا من يصدق مع الله أولا وأخيراً ، لأنهم سيخافون الله فيك ولا يخافونك فى الله ، وأنت إلى من ينقدك صادقا مخلصا ، أشد حاجة منك إلى من يطريك منافقا ومتزلفا .

دعك من هذه التأييدات . فهى رصيد كل حاكم ، وما أتفهها

خاصة تلك التى تكتب بالدم . فقد جربها سلفك ، فلم تغن عنه من الله شيئا ، انج بدينك ومسئوليتك أمام الله قبل أن يأتيك اليقين .

يا حكامنا : النظافة من الإيمان . نظافة المخبر قبل النظافة المادية . فإن لم تحرصوا على هذه النظافة معنى ومبنى فستظلون تدورون . يخيل إليكم أنكم تسيرون وأنتم لا تبرحون مكانكم . ولن تكون نظافة إلا حيث قرر الله مكانها **« قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة »** وعن غير هذا الطريق فلن يكون إلا الفساد **« إن الله لا يصلح عمل المفسدين »** .



للمؤلف

١	ـ شطحات مصطفى محمود فى تفسيراته العصرية للقرآن	دار الاعتصام
٢	ـ لماذا اغتيل الشهيد حسن البنا	« «
٣	ـ المصطلحات الأربعة بين الإمامين المودودى ومحمد عبده	« «
٤	ـ النسخ فى الشريعة الإسلامية كما أفهمه	نفـــد
٥	ـ عمير بن سعد	« «
٦	ـ المرأة فى التصور الإسلامى	مكتبة وهبة
٧	ـ المسلمة العصرية عند باحثة البادية	دار الأنصار

تحت الطبع

٨	ـ روائع فى الآيات المنسوخة	دار الاعتصام
٩	ـ تأملات فى سورة الحجرات	
١٠	ـ « « « التحريم	

محتويات الكتاب

الموضوع	صفحة

الفصـل الثـالث

عوامل التدهور الاقتصادى والحل ٦٣-٩٧

الموضوع صفحة

الفصل الرابع

التنظيمات السياسية ٩٩ــ١٢٠

الفصل الخامس

التربية والتعليم ١٢٢-١٦٢

الموضوع صفحة

الفصل السادس

قال الشعب الفيلسوف ١٦٣ــ١٧٧

رقم الإيداع ٣٨١٦ - ١٩٧٨

دار النصر للطباعة الإسلامية



هذا الكتاب

لم توضع الناصرية اليوم فقط فى « قفص الاتهام » . . ولكنها وضعت فى هذا القفص منذ أعوام ثورتها الأولى عندما بدأ الصنم الناصرى يحجر على الرأى ويقيد الكلمة ويصادر الحريات .

وهذا الكتاب سجل قائم ، ومرجع ثابت لوثائق تاريخية تشكل أول تحليل علمى من نوعه يضع الناصرية فى قفص الاتهام . . وهو لكاتب حر لم يطأطىء رأسه للطغيان فى عنفوانه . . ومع ذلك فله من دينـه وورعه والتزامه ما يعصمه عن التزيد والدس . . ومن هنا كانت القيمة الكبرى لهذا الكتاب .

ويقع الكتاب فى فصول ستة :

الناصرية بين النصير والنفعيين . . وهو يشرح مذهب الناصرية بأقلام الناصريين أنفسهم ، ثم يضع « المأزق التاريخى للناصريين » لعلهم يرشدون .

الاقتصاد المصرى فى النظام الناصرى . . ويشتمل على « ما هى الاشتراكية ؟ » و « مظاهر خيبة الأمل » فيها و « شعار ملكية الشعب » مع « فضيحة الضباط الثوريين » و « مخصصات أعضاء مجلس . . الثروة » و « عصر السرقات الآمنة » .

عوامل التدهور الاقتصادى . . وفيه يكشف عن « من المسئول ؟ » ويزيح الستار عن « الإفساد الزراعى » وعن الحقائق العلمية وراء « السد العالى » ونتائج « تجربة الاتجاه لليسار » .

التنظيمات السياسية . . وفيه يؤكد الصلة بالماركسية ، والتجارة بقضية فلسطين .

التربية والتعليم . . وفيه يتحدث عن طمس التاريخ الوطنى ، وفلسفة اللذة ، وناصر والماسونية .

الفصل الأخير . . قال الشعب الفيلسوف : فى فكاهته أروع تحليل للناصرية فى آفاقها . . ثم انتهى بماذا يجب علينا . . حتى لا نعبد العجل .

لقد مضى صاحب المذهب إلى ربه بعد أن ضلل جيلا كاملا من شباب الثورة كما كان يسميهم . . وبقى الصنم الأكبر بين ظهرانينا على قاعدته الرخامية أو الفضية أو الذهبية ليكون شاهداً على كل مخازى العهد ، وليجد مكانه جنباً إلى جنب بجوار أصنام أخرى لماركس ونهرو ولينين . . فاسألوهم إن كانوا ينطقون .

دار الاعتصام